

# سفر الملوك الثاني

(١ مل ١٨ : ٣٨ - ٣٩). لكن يسوع رفض هذه الروح عندما طلب تلميذاه يعقوب ويوحنا استخدامها ضد شعب السامرة الذين رفضوا مرور يسوع في أرضهم (انظر لو ٩ : ٥١ - ٥٦). لماذا لم تنزل النار وتأكل الفرقة الثالثة؟ لأن قائدها هو الذي صعد إلى إيليا، بخلاف القائدين السابقين، وتواضع أمامه آبياً أن يتحداه ويتحدى الله من خلاله. ولما مثل إيليا أما الملك أخزيا، نطق بنفس الكلام الذي سبق وحمله للرسول (ع. ١٦ : انظر ع. ٤ - ٦). ومات أخزيا بحسب كلام الرب. وملك يهورام (أخوه) عوضاً عنه في السنة الثانية لملك يهورام (يورام) بن يهوذا في يهوذا (ع. ١٧). وبقيّة أمور أخزيا مكتوبة في سفر أخبار الأيام للملك إسرائيل الذي نجهل عنه كل شيء (ع. ١٨).

٢ : ١ - ١٨ إصعاد إيليا يعنون الكاتب النص: «وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة». هو تقليد معروف في إسرائيل سيفصله الكاتب فيما يلي. كان أليشع يلازم إيليا، فذهباً معاً إلى الجبال، وطلب إيليا من أليشع البقاء هناك لكي يذهب هو إلى بيت إيل، لكن أليشع رفض، وأصر على ملازمة معلمه، ربما لأنه كان يشعر بقرب نهاية خدمة معلمه إيليا، فذهب كلاهما إلى بيت إيل (ع. ١ - ٢). في بيت إيل، يكشف بنو الأنبياء لأليشع الأمر: «اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك»، ويكشف لهم بأنه يعرف بالأمر (ع. ٣). ولازم أليشع إيليا إلى أريحا (ع. ٤). في أريحا، يصارحه أيضاً بنو الأنبياء بالأمر، ويفصح لهم بأنه يعلم (ع. ٥). ثم ذهب إيليا إلى الأردن ورافقه أليشع رافضاً أن يتركه (ع. ٦)، قابلهما خمسون من بني الأنبياء على الجهة المقابلة (ع. ٧). وانفلق ماء الأردن بضربة من رداء إيليا، ومر وأليشع إلى الجهة المقابلة (ع. ٨). ثم صرح إيليا خادمه أليشع بالأمر، وطلب منه إعلان أمنيته الأخيرة، وكانت: «ليكن نصيب اثنين من روحك علي» (ع. ٩). فأجاب «صعبت الطلب»، لكن إذا رأيته أؤخذ منك فيكون لك كذلك، وإلا فلا (ع. ١٠). ثم يصور النص انتقال إيليا هكذا: «وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرَكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَفَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعَدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: يَا أَيْي، يَا أَيْي، مَرَكَبَةُ إِسْرَائِيلَ وَفَرَسَانَهَا» (ع. ١١ - ١٢). لا نشك في وجود تقليد يهودي قوي يتكلم عن صعود إيليا إلى السماء في مركبة نارية، ولا يستطيع أي منطق بشري أن ينزع هذا التقليد من أذهان الناس. والآن ماذا بخصوص «الصعود إلى السماء»؟ وأين هي السماء؟ هل هي مكان؟ كانت الإجابة سهلة في كوزمولوجية ما قبل كوبرنيكوس: الأرض

الفصل بين سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني مصطنع، وفي الكتاب المقدس العبري كتاب واحد. يستمر السرد بطريقة طبيعية، ولا يشعر القارئ بأنه انتقل من سفر إلى سفر آخر. ويتابع الكاتب سرد أخبار إيليا النبي.

١ : ١ - ١٨ إيليا وأخزيا بن أخاب ملك إسرائيل يُقحم الكاتب خبر عصيان موآب على إسرائيل بعد موت أخاب، في جملة اعتراضية قصيرة (ع. ١)، تبدو وكأنها في غير مكانها. وكان داود هو من أخضع موآب (٢ صم ٨ : ٢)، والملك الذي يخلف أخزيا هو من سيرسل حملة لردعهم (٢ مل ٣ : ٤ - ٢٧). ثم يتابع الكاتب سيرة الملك أخزيا التي كان قد بدأها. على أثر سقوطه من كوة عليته، أصيب أخزيا بمرض، فأرسل رسلاً يطلب الشفاء من «بعل زبوب»، وهو إله مدينة عقرون في فلسطين (ع. ٢). يمكن ترجمة «بعل زبوب» بعدة طرق: «سيد الذباب»، أو «السيد (الإله) الطائر»، أو إله «الطائرات»، أو «إله السماء». أتت في الترجمات اليونانية للعهد القديم بشككين «إله الطوائر»، و«بعل زبول»، ومن هذه التسمية الأخيرة استوحى كتاب العهد الجديد اسم رئيس الشياطين: «بعل زبول» (مت ١٢ : ٢٤؛ لو ١١ : ١٥). علم إيليا بالأمر واعتبره ارتداداً عن الإيمان اليهودي (الإيمان بالإله يهوه)، وأمره ملاك الرب أن يلاقي رسل أخزيا في الطريق قبل أن يصلوا إلى مقصدهم، ويرسل إلى أخزيا قائلاً: «أليس لأنه لا يوجد في إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون؟ فلذلك قال الرب إن السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتاً تموت» (ع. ٣ - ٤). رجع الرسل وأخبروا أخزيا، ولما وصفوا له الرجل الذي كلمهم علم بأنه إيليا (ع. ٥ - ٨). غضب أخزيا وأرسل فرقة عسكرية مؤلفة من خمسين جندياً وقائدهم لإلقاء القبض على إيليا وهو على رأس الجبل (الكرمل). ولما أمره قائد الفرقة بالنزول والذهاب معهم إلى الملك، أمر إيليا أن تنزل نار وتأكلهم، وهكذا حدث (ع. ٩ - ١٠). ثم عاد الملك وأرسل فرقة ثانية، ولاقت المصير نفسه (ع. ١١ - ١٢). ثم عاد الملك وأرسل فرقة ثالثة، وتصرف قائدها بطريقة مختلفة: صعد هو إلى الجبل، وجثا أما إيليا وترجاه أن يعفو عنه وعن فرقته فلا يلاقوا المصير نفسه. وبأمر من ملاك الرب، نزل إيليا معهم وذهب لمواجهة الملك أخزيا (ع. ١٣ - ١٥). إيليا الآن على جبل الكرمل مختلف عن إيليا الهارب من إيزابل. النار هي الحضور الإلهي. أخزيا يتحدى الله بتحديه نبياً وملاكه (ملاك الرب)، فلا بد أن تضربه النار الإلهية. هذه هي النار التي نزلت على المذبح عندما تحدثت إيزابل وأنبياء البعل الله

يضع الكاتب الملهم خبر أليشع في سياق أخبار ملوك يهوذا وإسرائيل، وخاصة ما فعله ياهو، ملك إسرائيل، من إبادات في النسلين الملكيين. أهم المحطات في خدمة أليشع، كما جاءت في النص المقدس: أليشع يصلح مياه أريحا (٢: ١٩-٢٢)؛ صبيان بيت إيل يسخرون من أليشع ويغاقبون (٢: ٢٣-٢٥)؛ أليشع يتنبأ بانتصار إسرائيل ويهوذا وأدوم على موآب (٣: ١-٢٧)؛ أليشع وأرملة أحد الأنبياء (٤: ١-٧)؛ أليشع والمرأة الشونمية (٤: ٨-٣٧)؛ أليشع يصلح المسلوب السام (٤: ٣٨-٤١)؛ أليشع يشبع مائة رجل بعشرين رغيفاً (٤: ٤٢-٤٤)؛ أليشع يشفي نعمان السرياني من برصه (٥: ١-١٩)؛ أليشع يعاقب جيجزي خادمه (٥: ١٩ ب-٢٧)؛ أليشع يجد الفأس الغارقة (٦: ١-٧)؛ أليشع يكشف أسرار ملك آرام الحربية لملك إسرائيل وملك آرام يفشل في محاولة إلقاء القبض على أليشع (٦: ٨-٢٣)؛ أليشع يُنبئ بخلّاص السامرة من هجوم ملك آرام (٦: ٢٤-٧: ٢٠)؛ أليشع ينصح الشونمية بالهرب من إسرائيل خلال سني الجوع السبع ثم تعود وتُرد لها أملاكها (٨: ١-٦)؛ أليشع يقابل حزائيل الآرامي في دمشق (٨: ٧-١٥)؛ ملك يهورام في يهوذا (٨: ١٦-٢٤)؛ ملك أخزيا في يهوذا (٨: ٢٥-٩: ٢٩)؛ ملك ياهو في إسرائيل (٩: ١-١٠: ٣٦)؛ ملك عثليا في يهوذا (١١: ١-٢٠)؛ ملك يوشاف في يهوذا (١١: ٢١-١٢: ٢١)؛ ملك يهوآحاز في إسرائيل (١٣: ١-٩)؛ ملك يهوآش في إسرائيل (١٠: ١٣-١٣)؛ أليشع يتنبأ بانتصار يوشاف ملك إسرائيل على آرام ثلاث مرات ثم يموت (١٣: ١٤-٢١).

**٢: ١٩-٢٢ أليشع يصلح مياه أريحا** هنا تبدأ خدمة أليشع الفعلية بعد موت معلمه إيليا. بعد موت إيليا يجتمع أليشع وبنو الأنبياء في أريحا. يشجع رجال المدينة ضيوفهم الأنبياء على البقاء في مدينتهم أريحا حيث «موقع المدينة حسن... أما المياه فردية والأرض مجربة». يلمح الكاتب، ولو بشكل ضمني، إلى ما حل بالمدينة في زمن يشوع حيث لعنت، وعلى الأغلب رُسّت أراضيها بالملح فأجدبت الأرض (انظر قض ٩: ٤٥)؛ ثم، في زمن ليس ببعيد عن زمن أليشع، أعيد بناء المدينة بذبحة بشرية حيث قدم بانيها، حيئيل البيتلحمي، بكره ووضع جثته في الأساسات، ثم قدم ابنه الأصغر عند نصب الأبواب (١ مل ١٦: ٣٤)، وذلك طبقاً لمقتضيات المعتقدات الكنعانية، لكن الكاتب قال: «حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد يشوع بن نون» (را. يش ٦: ٢٦). الماء رديء؛ لا يصلح للسقاية، ليس فيه حياة. نرى أليشع يصلح الماء بالملح الموضوع في وعاء جديد. فيكون أليشع قد أزال، بعمله هذا، مفعول اللعنة التي أصابت المدينة في زمن يشوع. الوعاء الجديد هو «وعاء مقدس» (انظر لا ١: ٣، ١٠؛ عد ١٩: ٢؛ تث ٢١: ٣). جرت العادة، في الحروب، أن تُرث الأرض بملح لكي تجذب، ونرى هنا أن الماء يصلح بملح، فالملح مادة مطهرة لذلك كانت الذبائح تُملح (لا ٢: ١٣؛ حز ٤٣: ٢٤؛

مسطحة، السماء فوق، والهاوية تحت. لكن كوزمولوجية ما بعد كوبرنيكس غيرت النظرة إلى العالم. فالنص العبري الأصلي لا يقول إن إيليا صعد في المركبة النارية بل هو دخل في العاصفة. الجدير بالملاحظة هنا هو أن الكاتب الملهم يفتح خبر «إصعاد» إيليا بالقول: «وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء» (ع. ١). وهكذا للعاصفة معنى ديني. هي تدل على عمل الله. إذا، رحل إيليا لمّا دخل في العاصفة، لأن الله أخذه إليه كما أخذ جميع الأبرار منذ نوح وإبراهيم، بل هابيل وشيت وأنوش واخنوخ وغيرهم. وبعد أن صعد إيليا في العاصفة، افترق عنه أليشع فمزق ثيابه حزناً (ع. ١٢). سقط رداء إيليا على أليشع، علامة طول روح إيليا عليه. وبالرداء الذي يمثل روح إيليا، بل إله إيليا، انفلق ماء الأردن وتمر أليشع، تماماً كما حصل من قبل (ع. ١٣-١٤). ولما رأى بنو الأنبياء هذا المنظر قالوا: «لقد استقرت روح إيليا على أليشع» فأعلنوا له الخضوع والطاعة (ع. ١٥). يبدو أن إيليا كان بمثابة زعيم الأنبياء، والآن أليشع يتسلم المهمة. ثم بعد «صعوده»، يعرض بنو الأنبياء خدماتهم على أليشع للبحث عن إيليا، فيقولون له: «هوذا مع عبيدك خمسون رجلاً ذوو بأس فدعهم يذهبون ويفتشون عن سيدك لئلا يكون قد حمله روح الرب وطرحه على أحد الجبال أو في أحد الأودية» (ع. ١٦). هذا القول يوضح أن بني الأنبياء فهموا بأن إيليا «صعد في العاصفة»، وسقط في مكان ما. يرى بنو الأنبياء في «اختفاء إيليا» احتمالاً أن يكون «روح الرب» (ريح الرب) قد حمله وطرحه في مكان ما، وأظهروا أملاً في العثور عليه، إن هم بحثوا عنه. وبعد إلحاح عليه، قبل أليشع، فأرسلوا رجلاً للبحث عنه لكن دون جدوى (ع. ١٨).

## ٢: ١٩-١٣: ٢١ رابعاً: النبي أليشع يحاول ثانية أن يرد إسرائيل

كجملنا الكثير عن حياة إيليا، نهمل الكثير من التفاصيل عن حياة أليشع، ولا نقرأ عنه في النص المقدس إلا بعد رجوع إيليا من حوريب وتلاقيه به وتجنيده لخدمته، ليعده ليكون نبياً بعده. هو أليشع بن شافاط، من آبل محولة. تنبأ خلال الفترة (حوالي ٨٥٠-٨٠٠ ق. م.) وكان خليفة إيليا. معنى الاسم «أليشع» «الله ساعد» أو «الله خلص»، وهو نفس اسم يشوع، لكن باستعمال اسم الإله إيل وليس يهوه في بداية الاسم. و«شافاط» تعني «قضى» والقضاء في تلك الأيام مهنة مقدسة. يبدو أن أليشع لم يكن بعيداً عن أجواء الأنبياء، حتى قبل لقائه بإيليا. تأتي دعوة أليشع في إطار خدمة إيليا (را. ١ مل ١٩: ١٩-٢١). حصل أليشع على تمنيه: «نصيب اثنين من روح إيليا» (٢ مل ٢: ١٠)، فيقوم بإجراء عدد مضاعف من الآيات والأعمال المدهشة يدرجها الكاتب الملهم بشكل مدراشي.

يذهبا في طريق أدوم جنوباً فينضم لهما ملك أدوم وجيشه ويتجهون معاً شمالاً حيث موآب (شرق الأردن) (ع. ٦-٩). يبدو أن أدوم كانت تدور في فلك يهوذا (انظر ١ مل ٢٢: ٤٨-٤٩). دار الملوك الثلاثة وجيوشهم في البرية سبعة أيام، ولم يكن ماء، فخاف ملك إسرائيل وظن أن الرب أوقعهم في هذا الفخ ليسلمهم إلى ملك موآب (ع. ٩-١١). سأل يهوشافاط عما إذا كان يوجد نبي يكشف لهم المشورة الإلهية لخصوص هذه الحرب، فردّ مسؤول من إسرائيل بأنه يوجد أليشع، خادم إيليا، وذهب إليه الملوك الثلاثة لسؤاله كلاماً من الرب (ع. ١٢). تمنع أليشع، بدايةً عن التجاوب مع طلبهم طالباً إلى ملك إسرائيل أن يذهبوا إلى أنبياء أبيه وأمه، أي البعل والعشتروث، أبي ملك إسرائيل أن يفعل ذلك، وأكد بأن الرب دفع الملوك الثلاثة إلى يد ملك موآب لإهلاكهم (ع. ١٣). ثم قبل أن يسأل لهم كلمة من الرب بخصوص الحرب فقط إكراماً ليهوشافاط (ع. ١٤). يبدو أن يهوذا كانت ما زالت ملتصقة بالرب ولم تتحدر إلى الوثنية.

**٣: ١٥-٢٥ أليشع يتنبأ بانتصار الملوك الثلاثة شرع أليشع بالتنبؤ بحسب عادة تلك الأيام، فطلب عواداً ليعزف له ويدخله في جو التنبؤ؛ ولما عزف، «كانت عليه يد الرب»، يد الرب أمسكتة لكي يقول فقط ما يأمره به الله (ع. ١٥)؛ هي عبارة موازية لعبارة «حل عليه روح الرب» (قض ٣: ١٠؛ ٦: ٣٤) أي أتاه الوحي من الرب. مشهد التنبؤ تقليدي، كانت الموسيقى تُساعد النبي على الدخول في حالة انخراط فيفتح على عالم الغيب، أو يفتح عالم الغيب عليه (انظر خر ١٥: ٢٠؛ ١ صم ١٠: ٥-٦). بعدها أتت الرؤيا: أمرهم الله بحفر آبار في الوادي، فيتوفر الماء بكثرة من دون تساقط أمطار، ويشربون هم ومواشيهم. إن هذا أمر سهل عند الرب. وهكذا يدفع الرب الموابيين إلى أيديهم فيضربون مدنهم المحصنة ويقطعون الأشجار المثمرة ويطمون عيون الماء، ويملاؤن الأراضي الزراعية حجارة (ع. ١٦-١٩). إنها الحرب والخراب والدمار. يأتي أمر قطع الأشجار المثمرة معاكساً للتعليمات في تث ٢٠: ١٩، ربما لأن موآب تقع خارج حدود ما يُعرف بـ«أرض الموعد». وهكذا صار، في وقت التقديم الصباحية، فاضت المياه وملأت الوادي. وكان الموابيون قد سمعوا بهجوم حلف الملوك عليهم فاستعدوا لمواجهةهم، ورسدوا لهم على التخوم. وفي صباح ذلك اليوم، رأوا المياه الفائضة حمراء بسبب التراب، فظنوا أن هذه دماء وأن الملوك المهاجمين اختلفوا بعضهم مع بعض فتقاتلوا حتى كادوا يفتنون بعضهم بعضاً. فأراد الموابيون اغتنام الفرصة، ودخلوا التخوم الإسرائيلية. وتنبه لهم الملوك فاتبعوه وحاصروهم وضربوهم فقتلوا عدداً كبيراً منهم ودخلوا مدنهم فهدموها وطموا عيون الماء بالتراب والأراضي الزراعية بالحجارة. وقطعوا كل شجرة طيبة. وحدث تماماً كما جاء في كلام الرب بواسطة أليشع.**

انظر مت ٥: ١٣). الملح يُصيب الأرض باللعن، لكنه، في وعاء جديد (مقدس للرب)، وفي يد أليشع، نبي الرب، هو أداة إصلاح. يوجد في منطقة أريحا عين ماء اسمها عين السلطان، فدعيت عين أليشع. ويقول التقليد إن هذه هي العين التي كان ماؤها رديئاً فصار حلواً. لذلك ارتبطت عين السلطان بشخص أليشع.

**٢٣: ٢ - ٢٥ صبيان بيت إيل يسخرون من أليشع ويعاقبون** في خبر آخر، نرى أليشع يلعن الأولاد الذين أهانوه بمناداتهم إياه: «يا أقرع يا أقرع»، وعلى الأثر، تأتي دُبتان من البرية وتفترس اثنتين وأربعين ولداً منهم. خبر مدرashi غايته التحذير من مغبة الاستخفاف بنبي الله، فمن يفعل يطاله العقاب الإلهي. قد يكون أليشع قص شعره بشكل غريب، لكن، في كل الأحوال، القرع علامة النجاسة (لا ١٣: ٤٠-٤١)، هم إذاً يعيرونه إمّا بشكله الغريب، أو يسندون إليه نجاسة. الدبة شرسة خاصة عندما تفقد أولادها (٢ صم ١٧: ٨؛ هو ١٣: ٨). لعنة النبي مؤثرة حتى الموت. العدد ٤٢ رمز شؤم (انظر رؤ ١١: ٢؛ ١٣: ٥).

**٣: ١ - ٢٧ أليشع يتنبأ بانتصار إسرائيل ويهوذا وأدوم** على موآب نجد أليشع أيضاً في خبر حرب يهورام ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا وملك أدوم على ملك موآب العاصي. يتضمن الخبر التفاصيل التالية: ملك يهورام على إسرائيل (١-٣)؛ حرب ملوك إسرائيل ويهوذا وأدوم ضد ملك موآب (٤-١٤)؛ أليشع يتنبأ بانتصار الملوك الثلاثة (١٥-٢٥)؛ ملك موآب يقدم ذبيحة بشرية (٢٦-٢٧).

**٣: ١-٣ ملك يهورام على إسرائيل يهورام (أو يورام) هو الملك التاسع في إسرائيل (يهورام بن أخاب-أخزيا بن أخاب-بن عمري-زمرى-إيلة-بعشا-ناداب-بن يربعام). استلم الملك ٨٥٥ ق. م، تصادف السنة الثامنة عشرة من ملك يهوشافاط في يهوذا، وملك اثنتي عشرة سنة، أي حتى ٨٤٥ ق. م. عمل الشر، لكن ليس بمقدار شر أبيه وأمه (أخاب وإيزابل)، فقد أزال تمثال البعل الذي أقامه أبوه (انظر ١ مل ١٦: ٣١-٣٢). سار على خط يربعام بن نباط «الذي جعل إسرائيل يُخطئ».**

**٤: ١٤ - ٣ حرب ملوك إسرائيل ويهوذا وأدوم ضد ملك موآب** كان ميشع، ملك موآب خاضع للجزية (مائة ألف خروف، ومائة ألف كبش؛ «ألف» بالعبري يعني «مجموعة» غير محدودة العدد) التي كان يدفعها للملك أخاب. ولما مات أخاب، توقف ملك موآب عن الدفع (ع. ٤-٥). وُجدت، ١٨٦٨، مسلة في شرق الأردن تحمل اسم الملك ميشع وتذكر حروبه مع عمري وأخاب. وعندما جاء يهورام إلى الملك، تنبه لهذه المسألة، وقرر إعادة موآب إلى وضع الجزية. فاعد جيشه للمعركة، وطلب من يهوشافاط، ملك يهوذا، مرافقته، فوافق هذا الأخير نظراً لجو الأخوة السائد بين البلدين، واتفقا أن

أو يقطع عليهم خلوتهم وعمل الله (انظر ١ مل ١٧: ١٩؛ مت ٩: ٢٥)، ومن ثم تبدأ بصب الزيت في الأوعية الفارغة. عملت الأرملة بمشورة النبي أليشع، وامتلات الأوعية كلها بالزيت، فباع الزيت وسددت الدين وبقي لها ما تعيش به، هي وولداها. هذه آية (علامة) نبوية بشكل مدرّاش (قصة توضيحية) تأتي في خط أعمال إيليا (انظر ١ مل ١٧: ٨-١٦؛ أرملة صرفة صيدا).

**٤: ٨-٣٧ أليشع والمرأة الشونمية** عبر أليشع إلى شونم (مدينة في يساكر، شرقي السامرة. يش ١٩: ١٨؛ ١ صم ٢٨: ٤؛ ١ مل ١: ٣، ١٥. هي سولم اليوم على سفح جبل دوحى)، دعتة امرأة غنية وألحت أن يأتي ويشاركهما الطعام. وصار أليشع كلما مرّ في المكان، يدخل بيت المرأة وزوجها ويشاركهما الطعام (ع). ولما تعرّفت المرأة على أليشع عن قرب، علمت أنه «رجل الله» و«مقدس»، أي هو نبي يخدم الله ويطيعه، وهكذا هو يحظى بمكانة دينية واجتماعية، أشارت على زوجها أن يبنيا له عليّة فوق بيتهم ويفرشانها، وصار أليشع كلما مرّ في المحلة يبيت في العلية (ع. ٩-١١). مقابل هذا الجميل، دعاها أليشع وسألها ماذا يعمل لها: هل من حاجة عندها لمساعدة من الملك أو من قائد الجيش؟ يبدو أن أليشع كان عنده حظوة خاصة لدى المسؤولين. فأجابت المرأة أنها تعيش في وسط شعبها (مدعومة) ولا أحد يزججها (ع. ١٢-١٣). ثم سأل أليشع خادمه جيحزي ماذا ينصحه؟ وكيف يمكن أن يساعد هذه المرأة ويرد لها بدل جميلها عليه؟ فأشار عليه جيحزي بمساعدتها لتلد ابناً لأن زوجها شيخ وليس لهما أولاد. شيخوخة زوجها دليل على عجزه، واقتراب موتها وتركه إياه دون معين. أخذ أليشع بنصيحة خادمه، ودعا المرأة وتنبأ لها بأنها ستحتضن ابناً في الوقت الطبيعي للحبل والولادة. لم تصدق المرأة، وظلته يكذب عليها، لكنها حبلت وفي الوقت المعين ولدت ابناً (ع. ١٤-١٧). وحصل ما ليس في الحسبان! بعد أن كبر الولد، ذات يوم من أيام الحصاد، خرج إلى أبيه، فضربت الشمس رأسه، وشعر بوجع رأس، فأرسله أبوه إلى أمه في البيت، وما لبث أن فارق الحياة (ع. ١٩-٢٠). فأخذته وأضعته على سرير النبي أليشع - ربما يُظهر هذا قوة إيمانها بقدرات النبي العجائبية - ثم ذهبت إلى النبي مسرعة، دون أن تُخبر زوجها بموت الولد - قد يُظهر تصرفها هذا ثققتها بأن النبي سيقيم الصبي. تعجب الوالد من ذهابها إلى النبي في وقت غير معتاد، فإنها اعتادت أن تذهب إليه في رأس الشهر أو المناسبات وتأخذ له هدايا. ولما وصلت، ارتمت عند قدمي النبي بحزن كبير ونفس مرة، وذكرته بأنه ليست هي من طلب منه ولداً، وعندما وعداها أصرت عليه بأن لا يخذعها (انظر ع. ١٦)، فعلم أليشع بحقيقة وضعها وموت الولد (ع. ٢١-٢٨). عندها أعطى أليشع عكازه إلى جيحزي، وطلب منه أن يذهب معها ويضع

غير أن المهاجرين بقوا في مدينة قير حارثة الموابية، العاصمة الحصينة المنقورة في الصخر (إش ١٦: ١٧؛ إر ٤٨: ٣١)؛ وهي المذكورة باسم «قوركة» على مسلة ميشع، والتي هي الكرك اليوم في الأردن (ع. ٢٠-٢٥).

**٣: ٢٦-٢٧ ملك مواب يقدم ذبيحة بشرية** عندما رأى ملك مواب ما حل بأرضه، أخذ فرقة من خيرة جنوده وتوجه جنوباً محاولاً أن يشق الطريق إلى ملك أدوم فاتحاً ثغرة في الحصار المحكم عليه، فلم يقدر. فلجأ إلى لعب الورقة الأخيرة في الحرب: «فَأَخَذَ ابْنَهُ الْبَكْرَ الَّذِي كَانَ مَلِكًا عَوْضًا عَنْهُ، وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عَلَى السُّورِ». هي ذبيحة بشرية، قدمها ملك مواب للإله كموش (را. عد ٢١: ٢٩؛ ١ مل ١١: ٧ وتابع؛ إر ٤٨: ٤٦)، وكان يمارسها القادة في الحروب، هكذا فعل يفتاح (قض ١١: ٣٠-٤٠) والملك آحاز (١ مل ١٦: ٣٤). لكن ابن من هو؟ الهاء في «ابنه» تعود إلى ملك مواب أم إلى ملك أدوم؟ وكيف «كَانَ مَلِكًا عَوْضًا عَنْهُ؟». من يملك هو من يقود الحرب. هذا ما دفع بعض الشراح ليقولوا بأنه ابن ملك أدوم، لكن نرى أنه من الصعب الجزم في الموضوع. فإن كان ابن ملك أدوم، لا يذكر النص كيف استطاع ملك مواب أسره، ومتى ملك مكان أبيه بينما أبوه ما زال على قيد الحياة. كان للذبيحة مفعولان: أولاً، هي ذبيحة لإله مواب، كموش، كي يرد العدو عنهم؛ ثانياً، هي وسيلة لترهيب الجيوش المهاجمة، وخاصة الحلفاء، بإدخال الخوف إلى قلوبهم ظناً منهم أن إلههم سيستجيب لهذه الذبيحة، فينقلبون على ملك إسرائيل، قائد الهجوم. وبالفعل، عند رؤيتهم هذا المشهد الدموي الشنيع، يقول الكاتب: «فَكَانَ غَيْظٌ عَظِيمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ. فَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَرَجَعُوا إِلَى أَرْضِهِمْ». كان بنو إسرائيل يؤمنون بتأثير الآلهة الوثنية، لكن ليس في أرضهم حيث ليهوه، إلههم سلطة مطلقة (انظر ١ صم ٢٦: ١٩؛ تث ٣٢: ٨؛ ١ مل ٢٠: ٢٣).

**١: ٧ أليشع وأرملة أحد الأنبياء** مع أن أليشع لم يرغب في المشهد السابق، غير أن الكاتب يعود إلى أخباره بشكل مباشر مقدّماً قصص آيات نبوية موازية لأخبار النبي إيليا. وقعت أرملة أحد الأنبياء في ورطة: أتى المرابي يريد أخذ ولديها عبيدين إيفاء لدين، لم تتمكن من سداها، تركه لها زوجها، أو هي استدانته لسد حاجاتها الضرورية، وذلك بحسب الشريعة (خر ٢١: ٢-٦؛ ٢٥: ٣٩-٥٥؛ تث ١٥: ١٢-١٨). أراد هذا المرابي تطبيق الشريعة على الأرملة الضعيفة، لكن ماذا بشأن تعاطيه الربا (انظر تث ٢٣: ١٩-٢٠؛ مز ١٥: ٢ و ٥؛ حز ١٨: ٥، ٨، ٩؛ نح ٥: ١-١٣). لجأت هذه الأرملة إلى النبي أليشع سائلة إياه المساعدة. وعند سؤالها ما تنتظر أن يعمل لها وماذا تملك، فأجابت أنها لا تملك إلا دهنه زيت. فأمرها باستعارة أوعية فارغة من الجيران، وإغلاق الباب على نفسها ولديها، علامة السرية والخصوصية فلا أحد يجب أن يعرف بالأمر

الثلاثة أو الثلث. قد تكون قرية كفر الثلث اليوم التي تقع على بعد ٢٨ كلم جنوب طولكرم في محافظة قلقيليا. كان يُعتقد أن تقديم باكورة الحصاد لله (هنا لرجل الله) تبارك الحصاد كله وهناك عيد يُدعى عيد الباكورة ويقع في ١٦ نيسان (لا ٢٣: ٩-١٤). قدم الخبز والسنبل لأليشع، وهو بدوره طلب من خادمه أن يوزعها على مائة رجل من تلاميذه الأنبياء - قد تكون المناسبة مربوطة بالجوع المذكور في ع. ٣٨. ويعترض الخادم، لأن الكمية لا تكفي. لكن أليشع يُصر، «فأكلوا وفضل عنهم حسب قول الرب». الشعير من «بعل» شليشة، وبعل إله الخصب الكنعاني. كان مهماً، في مجتمع وثني يؤمن بأن الإله بعل هو «المخصب»، أن يظهر النبي أن يهوه هو الإله الحقيقي الذي يعطي الشعب طعامه (را. هو ٢: ٨). كانت هذه القصة، دون شك، في ذهن كتبة الأناجيل الذين كتبوا عن معجزة إشباع الجموع بتكثير الخبز والسّمك (مر ٦: ٣٠-٣٤؛ مت ١٤: ١٣-٢١؛ ١٥: ٣٢-٣٨؛ يو ٦: ١-١٤). يوجد كثير من التشابه في الخبرين. الرسالة هي أن القليل الذي يقدمه أناس أتقياء ويضعونه بين أيدي الأنبياء (أو الرسل)، الله يباركه ويُسبّح الكثيرين.

**٥: ١-١٩ أليشع يشفي نعمان، رئيس جيش آرام، من برصه**  
نعمان قائد كبير، حقق انتصارات كبيرة لبلده، وهو الآن أبرص. والبرص، فضلاً عن أنه علامة نجاسة، هو مرض مميت. وبينما هو يبحث عن علاج مُجدي، أشارت عليه فتاة من بني إسرائيل، كان قد سبها في إحدى غزواته، أشارت عليه بالذهاب إلى «النبي» الذي في السامرة (إسرائيل) من أجل الشفاء. والنبي المقصود هو أليشع (ع. ١-٣). عرض نعمان الأمر على الملك سيده، وهو هدد الثاني، واسمه غير مذكور في القصة. فحمله ملك آرام بالهدايا الثمينة (فضة وذهب وثياب) وأطلقه إلى ملك إسرائيل يهورام (غير مذكور في القصة)، مع كتاب يطلب فيه أن يعمل على شفاء نعمان من برصه (ع. ٤-٥). عند استلامه الكتاب، مزق ملك إسرائيل ثيابه غضباً معتبراً أن ملك آرام يطلب أمراً مستحيلاً، لا يستطيع عمله إلا الله، كذريعة لشن حرب على إسرائيل (ع. ٦-٧). سمع أليشع بالأمر، وخاصة ما فعله ملك إسرائيل، فأرسل له خادمه يلومه على تصرفه ويطلب إليه أن يرسل نعمان إليه «فيعلم أنه يوجد نبي في إسرائيل» (ع. ٨). جاء نعمان بموكبه المهيب إلى أليشع، لكن هذا الأخير لم يقابله، بل أرسل إليه خادمه يطلب إليه أن يذهب ويغتسل في نهر الأردن سبع مرات فيشفي. اغتاض نعمان للأمر، إذ أنه كان يظن بأن النبي سيخرج لاستقباله بحفاوة، وثم يضع يده على موضع البرص ويدعو إلهه فيبرأ الداء؛ وأيضاً استهزأ بطريقة الاغتسال في الأردن ورأى أنه إذا كان الشفاء بالاغتسال فيستطيع بالأولى أن يغتسل في نهري أبانا (نهر بردى في دمشق الذي ينبع من السلسلة الشرقية في لبنان) وفرفر (نهر الأعوج الذي ينبع من جبل حرمون ويجري جنوب دمشق)،

راس عكازه على وجه الصبي. قد يكون أليشع قد تصرف بوحى من قوة عصا موسى (خر ٤: ١٧)، أو رداء إيليا (٢ مل ٢: ١٤). فلم تقبل المرأة بهذا الحل، بل اصرت على النبي أن يذهب بنفسه معها (ع. ٢٩-٣٠). تبعد شونم عن رأس الكرمل، حيث كان أليشع، حوالي أربعين كلم. سبقهما جيحزي، وفعل كما أمره أليشع، لكن لا تغيير في الوضع (ع. ٣١). لم يؤثر هذا على إصرار المرأة على مواصلة السير (انظر مر ٥: ٣٥-٣٦) ولما وصل أليشع دخل العلية، وأغلق الباب (انظر ع. ٤ والشرح)، «ثُمَّ صَعَدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخَنَ جَسَدَ الْوَلَدِ. ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي النَّبْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعَدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ» (ع. ٣٢-٣٥). ثم دعا المرأة وسلمها ابنها حياً، فسقطت عند رجليه تشكره وأخذت ابنها وخرجت (ع. ٣٦-٣٧). الطريقة التي اتبعها أليشع في الشفاء كانت متبعة قديماً لتسخين الجسم الذي يكون قد برد (طريقة تنفس اصطناعي بدائية)؛ إنها الطريقة نفسها التي استخدمها إيليا في شفاء ابن أرملة صريدا (١ مل ١٧: ١٧-٢٤). القصة مدرّش تعليمي. يبدو أن الكاتب أراد، بهذا الوصف الدقيق لعمل أليشع، أن يؤكد على حقيقة حصول أليشع على «روح إيليا» (٢: ٩-١٠). يُشبه اختبار هذه المرأة اختبار إبراهيم الذي، ما كاد يحصل على ولده إسحق في شيخوخته، وعلى الرغم من عقم زوجته، حتى طلب منه الله أن يقدم ابنه إسحق ذبيحة (تك ٢٢). إنه امتحان الإيمان (عب ١١: ١٧-١٩، ٣٥). فإن كان هنا، أو كان في اختبار إبراهيم، كانت نتائج امتحان الإيمان مجيدة.

**٤: ٣٨-٤١ أليشع يصلح المسلول السام بعد شونم، عاد أليشع إلى الجبلال، وهو مركز ديني يقيم فيه بنو الأنبياء حيث يتدربون (انظر ٢: ١). يصور لنا الكاتب مشهداً فيه أليشع يترأس جماعة الأنبياء. وكان جوع، فأوصى خادمه بسلق بعض الأعشاب البرية لإعداد طعام للأنبياء. ولما أخذوا يأكلون من الطعام المطبوخ، صرخ أحدهم للنبي أليشع قائلاً: «في القدر موت يا رجل الله»، أي الطعام مسموم، وتوقفوا عن الأكل (ع. ٣٨-٤٠). أمر أليشع بإضافة دقيق إلى السليق، فزال السم وأكلوا وشبعوا (ع. ٤١). القصة تشبه قصة تحلية الماء بعد الخروج عندما عطش الشعب في البرية ووقعوا على مياه مرة (خر ١٥: ٢٢-٢٥). في الخروج، تصلح الماء بشجرة، وهنا يصلح الطعام بدقيق. طرق بدائية كانت متبعة لإصلاح الفساد في الطعام والشراب. الخبر آية نبوية: كمية من الدقيق، بيد رجل الله تصلح الفساد.**

**٤: ٤٢-٤٤ أليشع يُشبع مائة رجل بعشرين رغيفاً رجل من بعل شليشة جاء يقدم لأليشع عشرين رغيفاً وسنبلاً طرياً من باكورة حصاد الشعير. «بعل شليشة» مكان غير معروف. العبارة تعني سيد**

استقبله نعمان استقبال الأشراف. وابتدع جيحزي قصة قصّها على نعمان: حالما تركت أليشع، أناه اثنان من بني الأنبياء، ويطلب منك أن ترسل لهما وزنة فضة وحلّي ثياب. فأعطاه نعمان وزنتين من الفضة وحلّي ثياب وأوصى اثنين من خدامه حملها ومرافقته إلى بيته. ولما وصل قريباً من البيت، أخذ هدايا نعمان من الخدام وأطلق الخادمين للعودة إلى موكب سيدهما نعمان. أما هو فأخذ الأغراض وخبأها في بيته (ع. ٢١-٢٤)، ثم ذهب فمثل في حضرة سيده أليشع. سأله أليشع عن سبب غيابه، فنفى زهابه لأي مكان. لكن أليشع واجهه بالحقيقة، فكشف له ما حدث، وكيف أنه لحق بنعمان وأخذ منه الهدايا بالحيلة والكذب؛ ثم وجّه له توبيخاً قاسياً لأنه استسلم للطمع مهملاً مهمته السامية: الشفاء المجاني (انظر مت ١٠: ٨)؛ وأخيراً، أنزل عليه برص نعمان (ع. ٢٥-٢٧). «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت ١٦: ٢٦؛ مر ٨: ٣٦).

**٦: ١-٧ أليشع يجد الفأس الغارقة يبقى الكاتب في إطار أخبار أليشع.** رأى بعض تلاميذ أليشع من «بني الأنبياء» بأن مكانهم في الجلجال ضاق بهم، فطلبوا من معلمهم (أليشع) أن يسمح لهم بتجهيز مكان آخر. فذهبوا إلى مكان على شاطئ الأردن، وذهب النبي معهم بناء لطلبهم، وأخذوا يقصّون الأشجار لبناء مساكن لهم (ع. ١-٤). وبينما أحدهم يقطع الأخشاب، سقطت الفأس التي يقص بها في الماء وضاعت. ولما كانت الفأس مستعارة، صرخ إلى النبي طالباً مساعدته لإيجادها. فاستفسر النبي عن المكان الذي وقعت فيه، ثم أخذ النبي عصا طويلة وانتشلها من الماء (ع. ٥-٧). من خصائص الأنبياء أنهم يعرفون المستور.

**٦: ٨-٢٣ أليشع يكشف أسرار ملك آرام الحربية لملك إسرائيل**  
**وملك آرام يفشل في محاولة إلقاء القبض على أليشع** يأتي الكاتب بخبر آخر عن أليشع. أراد ملك آرام أن يفاجئ ملك إسرائيل بالهجوم عليه، فكن له في مكان سرّي لا يعرفه إلا قواده، منتظراً أن يمر ملك إسرائيل من هناك لكي ينقض عليه. لكن أليشع أرسل إلى ملك إسرائيل يعلمه بالأمر وحذره من المرور في المكان. فعرف ملك آرام أن ملك إسرائيل عرف بالأمر. وأعاد الكرة مرة ومرتين، وكان أليشع يخبر ملك إسرائيل بالأمر (ع. ٨-١٠). تحيّر ملك آرام من الأمر، ودخل الشك قلبه في أن أحد جنوده يخونه ويخبر ملك إسرائيل. لكن أحد خدامه أعلمه بأن النبي أليشع هو من يكشف لملك إسرائيل المكان الذي يكمنون فيه (ع. ١١-١٢). قرر ملك آرام إلقاء القبض على أليشع، فأرسل له فرقة من جنوده وهو في دوّشان (تل دوّشان اليوم، ١٥ كلم شمال شرقي السامرة) وحاصروا المدينة من جميع جهاتها (ع. ١٣-١٤). عند الصباح، لما خرج خادم أليشع (اسمه غير مذكور، قد يكون جيحزي أو غيره) من البيت رأى المدينة محاصرة، فخاف وأخبر النبي الذي شجعه مؤكداً له وجود جيش «روحي» أكثر

فمياهما أفضل من مياه الأردن بكثير، وقفل راجعاً إلى دمشق (ع. ٩-١٢). لكن مستشاريه أشاروا عليه بتنفيذ هذا الأمر البسيط، أي الغطس في الأردن سبع مرات، فهو كان مستعداً لتنفيذ أمر أكثر تعقيداً (ع. ١٣). فأخذ نعمان برأيهم واغتسل سبع مرات في الأردن، فشفي من برصه (ع. ١٤). لهذا الاغتسال السباعي رمزية دون شك. البرص نجاسة (لا ١٣: ١٤). اعتبار مياه الأردن مقدسة قديم في إسرائيل، منذ عهد يشوع بن نون وعبوره الأردن مع الشعب الداخل إلى أرض كنعان (يش ٣: ٩-١٤: ٤). وقد استمر هذا اعتقاداً في إسرائيل ومُورس في الأردن كثير من طقوس التطهير، وما معمودية يوحنا المعمدان في نهر الأردن إلا واحدة من هذه الطقوس. الاغتسال وسيلة للتطهر من النجاسة (لا وسيشبهه عدد من آباء الكنيسة حادثة تطهر نعمان في نهر الأردن بالمعمودية المسيحية. الاغتسال سبع مرات هو كمال التطهر. نهر اباونا وفرفر في دمشق الوثنية، حيث يملك البعل، وغيره من الآلهة، لا يُطهرون، بل الأردن في أرض إسرائيل حيث يملك يهوه هو الذي يُطهر. على القائد العسكري الأعلى، ومن ورائه ملك آرام وملك إسرائيل أن يخضع لتعليمات النبي، رجل الله ممثله، حيث الملك فشل في تملك الله أو الملك باسمه لتحقيق مشيئته. المسيح يسند شفاء «نعمان السرياني» من برصه، ليس إلى «قوة التطهير» في مياه الأردن، بل إلى إيمان نعمان نفسه بالله ونعمته (لو ٤: ٢٧). وكانت نتيجة الاغتسال، بالإضافة إلى شفاؤه، اعتراف نعمان أمام النبي أليشع: «هُوَ ذَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَهٌ فِي كُلِّ الْأَرْضِ إِلَّا فِي إِسْرَائِيل» (ع. ١٥). ثم عرض على النبي هدية، لكن أليشع رفض، على الرغم من إصرار نعمان، لئلا يتدنّى مقام النبوة (ع. ١٦). ثم يطلب أن يُعطى له حمل بغلين من التراب الإسرائيلي حتى يعبد يهوه عليه، فيتوقف عن عبادة الآلهة الوثنية (ع. ١٧). هذا يعني أنه قرر ممارسة عبادة يهوه على أرض من إسرائيل. وهنا نرى فكر القدماء واعتقادهم بوجود اتصال وثيق بين الإله والأرض التي يُعبد عليها، فيهوه لا يُعبد إلا على أرض إسرائيل (را. عا ٧: ١٧؛ هو ٩: ٣-٤؛ صم ١٩: ٢٦). ويطلب نعمان إذنًا من أليشع لأنه مرغم أن يذهب مع سيده لعبادة إلهه رمون (إله آرامي؛ اسم آخر للإله هدد إله الرعد والمطر زك ١٢: ١١)، فيعذره أليشع (ع. ١٨-١٩) ويظهر بذلك تسامحاً دينياً قل وجود نظيره في تلك الحقبة في إسرائيل. والدرس العام من الخبر هو أن يهوه ليس فقط إله إسرائيل بل أيضاً إله الغرباء وإله كل من يقصده، وعلى إسرائيل أن تتعلم هذا الدرس. إن عمل الله لا يتحدد في حدود أرض أو شعب بل يعم العالم كله وكل شعوب الأرض.

**١٩ب-٢٧ أليشع يعاقب جيحزي خادمه بسبب الطمع**  
 لما رأى جيحزي أن سيده أليشع رفض هدايا نعمان، دخل الطمع قلبه، فلحق به وهو في طريق عودته إلى دمشق (ع. ١٩-٢٠).

طلب النبي من الناس انتظار الخلاص الآتي من عند الرب (٢٠: ٢٨). كان رد أليشع أنه بأن نجاة المدينة ستتم في يوم واحد، بعده تعود الأمور الحياتية إلى طبيعتها كما كانت قبل الحصار (٧: ١). وكان في المجلس جندي للملك - لعله هو الذي أتى لقطع رأس النبي - أخذ يستهزئ بهذه النبوة مظهرًا استحالة حدوثها، فتنبأ له النبي بأنه سيرى الرخاء بأمر العين لكن لن ينعم به (ع. ٢). جاء خلاص السامرة بطريقة عجيبة: أربعة رجال برص كانوا يعيشون خارج سور المدينة بحسب الشريعة (لا ١٣: ٤٦)، وكان الجوع قد طالهم، فكروا بين دخولهم السامرة أم لجوئهم إلى محلة الآراميين، وفضلوا الحل الثاني كونه يحمل لهم بعض الأمل بالنجاة من الموت المحتم. ذهبوا إلى محلة الآراميين فلم يجدوا أحدًا، لكن وجدوا الخيل والبهائم مربوطة، والخيام منصوبة والمواد الغذائية متوفرة بكثرة، وكأنهم هربوا على عجل وتركوا كل شيء (ع. ٣-٥). لا نعرف ماذا حصل بالضبط، لكن تفسير الكاتب هو أن الرب أسمع الآراميين صوت جيش بخيله ومركباته، فظن هؤلاء بأن بني إسرائيل استأجروا مرتزقة من الحثيين والمصريين وشرعوا في شن هجوم عليهم، فهربوا على عجل لينجوا بحياتهم دون أن يأخذوا أيًا من حاجاتهم (ع. ٦-٧). أخذ الرجال البرص يدخلون الخيام، يتناولون الطعام ويستولون على الذهب والفضة فيخبئونها في الأرض (ع. ٨). لكن أحدهم رأى في هذا التصرف أنانية وسوء نية فقال: «هَذَا الْيَوْمَ هُوَ يَوْمٌ بِشَارَةٍ وَنَحْنُ سَاكِنُونَ!» وخافوا من مفاجأة غير مستحبة إذا بقوا في محلة الآراميين حتى الصباح. فذهبوا وأخبروا حراس باب السامرة بما رأوه واختبروه في محلة الآراميين، وهؤلاء أخبروا بيت الملك (ع. ٩-١١). لكن الملك فسر الأمر على أنه خدعة عملها الآراميون ليفتكوا ببني إسرائيل: «لَأُخْبِرَنَّكُمْ مَا فَعَلَ لَنَا الْآرَامِيُّونَ. عَلِمُوا أَنَّنَا جِيَاعٌ فَخَرَجُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ لِيُخْتَبِئُوا فِي حَقْلٍ قَائِلِينَ: إِذَا خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ قَبَضْنَا عَلَيْهِمْ أَحْيَاءً وَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ» (ع. ١٢). اقترح أحد مساعدي الملك بأن يذهب خمسة رجال على أحصنتهم ليفحصوا الأمر حتى لو كان في الأمر مخاطرة، فدخل المدينة موت أما في محلة الآرميين فإما موت أو حياة. لاقى الاقتراح استحسانًا عند الملك، فأرسل مركبتي خيل. وصلت الفرقة المرسله حتى نهر الأردن ووجدوا كل الطريق ثيابًا وأنية طرحها الآراميون ليسهل عليهم الهرب سريعًا. رجع المستكشفون وأخبروا أهل السامرة، وهجم سكانها على محلة الآراميين فنهبوا، وبالفعل، عاد الوضع الحياتي إلى ما كان عليه من بحوكة، فتمت كلمة الرب بقم أليشع (ع. ١٣-١٦). وكان أن الملك أقام على باب المدينة الجندي الذي استهزأ بنبوة أليشع (را. ع. ٢)، وبينما الشعب الجائع كان يخرج بكثرة من الباب دهسوه ومات ولم يستطع أن يتنعم بالبحوكة التي تكلم عنها أليشع في النبوة، ويشير الكاتب إلى تحقيق النبوة (ع.

عددًا جاء لحمايتهم (ع. ١٥-١٦). وطلب أليشع من الله أن يفتح عيني خادمه ليرى، فرأى الجبل المحيط بمكان أليشع مملوءًا خيلًا ومركبات نار (ع. ١٧). نزل الجنود الآراميون ليلقوا القبض على أليشع، لكن هذا الأخير طلب من الرب أن يضربهم بالعمى، فكان له ما أراد. ثم خرج إليهم وأوهمهم أنه سيرشدهم إلى بيت من يريدونه، لكنه قادهم إلى السامرة وطلب من الرب أن يفتح عيونهم. ولما انفتحت، رأوا أنفسهم محاصرين (ع. ١٨-٢٠). أراد ملك إسرائيل ضربهم، لكن أليشع منعه إذ لا يحق أن يضرب إلا الذين أسرهم هو (أو إذا كان لا يضرب الذين يأسرهم هو فكيف يريد أن يضرب من أسرهم غيره). ثم أمر أن يُعطوا طعامًا، فأولم لهم ملك إسرائيل بناء لطلب أليشع، ثم انطلقوا راجعين إلى قائدهم. إنها طريقة خلقية في معاملة الأسرى. بعد ذلك، لم تعد جيوش آرام تحاول أن تدخل إسرائيل (ع. ٢١-٢٣). إنها قصة للتعليم أراد بها الكاتب أن يُعطي قارئيه عدة دروس روحية. الدرس الأول هو إظهار إمكانيات النبي الفائقة في معرفة الأمور المخفية، ومصدرها إله إسرائيل الذي يتفوق على آلهة الآراميين بأشواط كثيرة. الدرس الثاني هو أن النبي يضع إمكانياته في خدمة ملك شعب الله كرسول لله؛ فالله يتكلم للملك، ويعمل في حياته بواسطة نبيه. الدرس الثالث، عند الله جيش روحي يُرسله لحماية رسله، وقد يكون هذا هو الجيش الذي أشار إليه يسوع عندما أتوا للإلقاء القبض عليه (مت ٢٦: ٥٣؛ انظر دا ١٠: ١٠؛ زك ١: ٨؛ ١: ٦؛ مز ٣٤: ٧؛ ٦٨: ١٧).

**٦: ٢٤-٧: ٢٠: أليشع يُنبئ بخلاص السامرة من هجوم ملك آرام** على الرغم من قول الكاتب، في نهاية الخبر السابق، بأن جيوش آرام لم تعد تدخل أرض إسرائيل، يخبرنا بأنه بعد فترة من الزمن، عاد ملك آرام يهدد إسرائيل، وصعد وحاصر السامرة. واشتد الحصار ففقد الماء والغذاء من المدينة، حتى إن الناس أقبلت على أكل لحوم الحيوانات النافقة ولحوم الموتى من البشر ولا يجدونها (ع. ٢٤-٢٥). وبينما كان الملك يتجول على السور، صرخت إليه امرأة تخبره ما حصل لها: «إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ قَدْ قَالَتْ لِي: هَاتِي ابْنَكَ فَنَأْكُلْهُ الْيَوْمَ ثُمَّ، نَأْكُلْ ابْنِي غَدًا. فَسَلَقْنَا ابْنِي وَأَكَلْنَاهُ. ثُمَّ قُلْتُ لَهَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ: هَاتِي ابْنَكَ فَنَأْكُلْهُ فَخَبَّاتِ ابْنَهَا» (ع. ٢٦-٢٩). وعندما كان أليشع يظهر وكأنه غير معني بالوضع، وغير مكترث بالأمر، هدهد الملك بقطع رأسه، وطلب من أحد جنوده أن يذهب وينفذ التهديد. في هذه الأثناء، كان أليشع يتنبأ في مجلسه، فأعلم الحاضرين بأن الملك أرسل أحدهم ليقطع رأسه، وطلب إليهم أن يغلقوا الباب جيدًا ويمنعوه من الدخول لأن سيده قادم وراءه. وبينما هو يتكلم حضر رسول الملك وقال: بما أن الرب هو من سبب هذا الشر العظيم علينا فلماذا ننتظر خلاصه؟ (ع. ٣٠-٣٣). يبدو أن الرسول يشير إلى الحصار الأول (را. ٢٠: ١-٢٠)، حين

تلقى من الرب رسالة نبوية تصور ما سيحدث للآراميين من ويلات على يد حزائيل. ولما سأله حزائيل عن السبب، أجاب: «لأنِّي عَلِمْتُ مَا سَفَعْلُهُ بَيْتِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّكَ تَطْلُقُ النَّارَ فِي حُصُونِهِمْ، وَتَقْتُلُ شَبَابَهُمْ بِالسَّيْفِ، وَتَحْطِمُ أَطْفَالَهُمْ، وَتَشَقُّ حَوَامِلَهُمْ» (ع. ١١-١٢). يبدو أن قائد الجيش قد أعد العدة سرّاً لثورة على ملكه، لكنه نفى الأمر عندما واجهه به النبي، ووصف نفسه بالكلب. عندها أباح له النبي بأنه يراه ملكاً على آرام (ع. ١٣). رجع حزائيل إلى الملك وأخبره بأنه سيشفى من مرضه. لكن، في الغد، اغتال حزائيل الملك بإماتته خنقاً، وملك عوضاً عنه (ع. ١٤-١٥). وكان هذا ما سبق وقاله الرب لإيليا في جبل حورييب (١ مل ١٩: ١٥)، مع الفارق أن ليس هو من مسح حزائيل بل أليشع الممسوح على يديه.

**٨: ١٦-٢٤ ملك يهورام في يهوذا** أخبار أليشع التي مرت حدثت في إسرائيل وفي عهد ملكها يورام (بن أخزيا) بن أخاب، الملك التاسع (انظر ١: ٣-٣). يترك الكاتب سرده لأخبار أليشع، ويعود إلى أخبار ملوك يهوذا وإسرائيل. ملك يورام (يُلفظ الاسم أيضاً يهورام) بن يهوشافاط على يهوذا من عاصمتها أورشليم في السنة الخامسة ليورام بن أخاب (ابن أخزيا بن أخاب) في إسرائيل، وكان بعمر اثنين وثلاثين سنة. يورام هو الملك الخامس في أورشليم (يورام-يهوشافاط-آسا-أبيام-رحبعام). ملك ٨٤٨ ق. م. واستمر ملكه مدة ثماني سنين، أي حتى ٨٤٠ ق. م. تزوج عثليا بنت أخاب، وكان هذا السبب، بحسب الكاتب، أنه سار في طريق ملوك إسرائيل وعمل الشر في عيني الرب (ع. ١٦-١٨). ولم يعاقب الرب يهوذا إكراماً لداود وعهده معه: «أنه يعطيه سراجاً ولبنيه كل الأيام» (ع. ١٩)، أي عرش يهوذا. في أيامه انفصل الأدوميون عن يهوذا وملكوا عليهم ملكاً مستقلاً. الأمر الذي دفع يورام ليشن حرباً ضروساً على المناطق المحيطة بجبل سعيير (جنوب الأردن اليوم) وضرب مركباتهم كلها، فهرب الشعب. لكن لم يتمكن من إخضاع أدوم ثانية، وبقي أدوم عاصياً على يهوذا «إلى هذا اليوم» (تاريخ كتابة النص)؛ ما شجع مدينة لبنة إلى العصيان على يهوذا. (ع. ١٩-٢٢). لبنة (تل الصافية اليوم) تقع غربي أورشليم على بعد حوالي ٤٠ كم، في أرض الفلسطينيين. بقية أمور يورام مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا، وهو سفر لا نعرف عنه شيئاً (ع. ٢٣). مات يورام ودفن في مدينة داود (أورشليم) وملك أخزيا ابنه عوضاً عنه.

**٨: ٢٥-٢٩ ملك أخزيا في يهوذا** يبقى الكاتب في يهوذا، يقدم أخبار أخزيا ملك يهوذا، وتتخللها أخبار عن أحداث أخرى، حيث يعود النبي إلى أخبار أليشع النبي. أخزيا بن يهورام، ملك يهوذا، هو الملك السادس (أخزيا-يهورام-يهوشافاط-آسا-أبيام-رحبعام). ملك ٨٤٠ ق. م.، في السنة الثانية عشرة لملك

١٧-٢٠). نلاحظ أن اسم الملك غير مذكور في القصة، القصة خبر مدرashi أراد به الكاتب جملة من الدروس الروحية: النبي عرف بقرار قطع رأسه ومنعه وتقوه بنبوة عن الفرج الآتي، فأظهر أنه ليس هو سبب الجوع كما كان يظن الملك؛ الجندي الذي لم يصدق النبوة كان عقابه الموت.

**٨: ١-٦ أليشع ينصح الشونمية بالهرب من إسرائيل خلال سني الجوع السبع ثم تعود وتُرد لها أملكها** أعلم النبي أليشع المرأة الشونمية، التي أحيا لها ابنها (انظر ٤: ٣٥)، أن الرب سيأتي بسبع سنوات جفاف وجوع على بلدها شونم، ونصحها بالذهاب إلى مكان آخر. فذهبت إلى فلسطين، على الساحل الجنوبي، حيث تغربت خلال فترة الجفاف (ع. ١-٢). يقول الكاتب الملهم أن الله هو من يسبب الجفاف والجوع، وذلك انسجماً مع الفكر الديني آنذاك. وبعد سني الجوع، عادت المرأة إلى موطنها، شونم، فوجدت بيتها وأرضها مستولى عليها من قبل الملك (انظر ١ صم ٨: ٥؛ ١٤: ٤-١٠؛ ١ مل ٣: ١٦-٢٨؛ ٢ مل ٦: ٢٦-٢٩)، لذلك راحت ترفع شكواها للملك، فوجدته جالساً مع جيحزي خادم أليشع النبي وقد طلب منه أن يحدثه عن «العظام» التي فعلها أليشع. وفيما كان يقص عليه كيف أحيا ابن المرأة، وصلت المرأة نفسها مع ابنها. ولما رفعت شكواها إليه، طلب منها أولاً أن تقص عليه كيف تمت عملية إحياء ابنها. ولما انتهت، أرسل الملك معها أحد خدامه الذي أرجع لها كل أملكها مع محاصيل الأرض منذ تركتها وحتى الساعة (ع. ٣-٦). جيحزي موجود في المشهد مع أن النبي حكم عليه بالبرص (انظر ٥: ٢٧). سنوات الجوع سبع، كسنوات مصر العجاف (تك ٤١: ٥٣)، فترة غير محدودة. المرأة تثق بأليشع فتعمل بحسب نصائحه. الملك مندهش من «العظام» التي يجترحها أليشع، فيحسن إلى المرأة لأنها موضوع أحد أعماله العظيمة.

**٨: ٧-١٥ أليشع يقابل حزائيل الآرامي في دمشق** على أثر شفاء نعمان السرياني، وكشف أليشع خطط ملك آرام، ذاع صيته في آرام أيضاً. وفي يوم من الأيام، قصد أليشع دمشق لأمر مجهول، ولما عرف ملكها بنهدد بالأمر - وكان آنذاك مريضاً - أرسل حزائيل، قائد جيشه، بهدية إلى النبي يستقبله في مدينتهم ويطلب إليه أن يسأل الرب عن أمر مرضه وشفائه (ع. ٧-٨). قد يكون شفاء نعمان من برصه شجع الملك على التوجه بمرضه إلى النبي ومنه إلى الرب. حمل حزائيل هديته، حمل أربعين جملاً من كل خيرات دمشق. ولما تقابل معه سأله بشأن مرض ملكه، فكان جواب النبي بأن يقول له أنه سيشفى، وباح له بأن الرب أراه بأنه يموت بالتأكيد (ع. ٩-١٠). القول الصحيح هو أنه سيموت، لكن أراد النبي أن يصله خبر معاكس لهذه الحقيقة، لأن هذا يدخل في خطة النبي. ركز النبي نظره بحزائيل حتى إن هذا طأطأ رأسه خجلاً، ثم أجهد النبي بالبكاء لأنه



كاثوا يقلقون لكلام هذا النبي الذي دعوه «مجنوناً» - أخبرهم ياهو بالأمر، وبأن النبي مسح ملكاً على إسرائيل (ع. ١١ - ١٢). خلع كل منهم عباءته وفرشها تحت قدمي ياهو كعلامة على مبايعته، ثم ضربوا بالبوق وصرخوا «قد ملك ياهو»، ما دفع ياهو أن يعلن عصيانه على ملكه يهورام مجاهرة، في الوقت الذي كان فيه الملك والجيش في حامية راموت جلعاد لدرء خطر حزائيل ملك الآراميين (ع. ١٣ - ١٤). وكان الملك يهورام يمضي فترة نقاهة من جراء إصابته في الحرب الآرامية في يزرعيل، وكان معه أخزيا، ملك يهوذا. فأمر ياهو ألا يخرج أحد من راموت جلعاد ويذهب إلى يزرعيل ليخبر الملك بما حصل. أراد ياهو الاستفادة من الفرصة، فجيش يهورام كله مرابط في راموت جلعاد، ويهورام شبه أعزل في يزرعيل، فأسرع إليه، ولما رآه الرقيب يقود مركبته بجنون، أخبر الملك، فأرسل له رسولا يستفسر عن الأمر، فما رجع الرسول، وأرسل له رسولاً ثانياً، ثم ثالثاً، عندها شعر الملك بالخطر، فشد مركبته، وكذلك فعل ملك يهوذا، وذهب الملكان لمواجهة يورام، والتقيا به عند حقل نابوت اليزرعيلي (ع. ١٥ - ٢١). قصد الكاتب، دون شك، إبراز موضوع «نابوت اليزرعيلي» الذي تسببت إيزابيل بموته وسلبه حقله (انظر ١ مل ٢١: ١ - ٢٠). ولما عبر يهورام لياهو بأنه يتمنى أن يكون سبب مجيئه خيراً، فاجأه ياهو بأنه في صدد مواجهة المآسي التي سببتها أمه إيزابيل للمملكة بوثنيتها. علم يهورام أن في الأمر انقلاباً عليه، وقبل أن يتمكن من الهرب، ضربه ياهو بالقوس وأرداه قتيلاً في مركبته (ع. ٢٢ - ٢٤)، وطلب من أحد مساعديه أن يرمي جثته في حقل نابوت اليزرعيلي مذكراً إياه بأنهما كانا مع أخاب عندما رُجم نابوت وأولاده ظلماً، وكيف أن الرب نقل هذه الخطية إلى ابن أخاب، يهورام، وها هو ملقى في المكان الذي ألقيت فيه جثث نابوت وأولاده بحسب قول الرب (ع. ٢٥ - ٢٦؛ انظر ١ مل ٢١: ١٦). إذاً، كان ياهو متأكداً بأنه يقتل يهورام هو ويتمم واجباً إلهياً. ثم لحق ياهو بأخزيا ملك يهوذا، الذي حاول الهرب، فأمه، عثليا، بنت أخاب، وضربه وهو في مركبته في عقبة جور التي عند بيلعام (أماكن مجهولة اليوم)، فنزف دمه حتى وصل إلى مجدو (اليوم «تل المتسلم»، ويوجد من يقول إنها «بيت جن» أي بيت الجنة) ومات هناك (ع. ٢٧). فأخذوه ودفنوه في قبره مع آبائه في مدينة داود. وكان قد ملك في السنة الحادية عشرة لملك يهورام بن أخاب على إسرائيل (انظر ٨: ٢٥، حيث يقول الكاتب في السنة الثانية عشرة).

٩: ٣٠ - ٣٧ ياهو يقتل إيزابيل أرملة أخاب ملك إسرائيل بعد قتله ملك إسرائيل وملك يهوذا، توجه ياهو إلى يزرعيل حيث كان مسكن للعائلة المالكة في إسرائيل، وهناك كانت إيزابيل، أرملة أخاب. ولما علمت هذه الأخيرة بقدمه - وكانت بالتأكيد قد سمعت

يهورام (أخي أخزيا) بن أخاب (انظر ٩: ٢٩، حيث يقول الكاتب في السنة الحادية عشرة). ملك بعمر الثانية والعشرين، وملك سنة واحدة. أمه عثليا بنت أخاب ملك إسرائيل. سار في طريق بيت أخاب عمل الشرف في عيني الرب بسبب مصاهرته بيت أخاب (ع. ٢٥ - ٢٧). اشترك مع يهورام ملك إسرائيل في حربه مع حزائيل ملك آرام في راموت (جبال) جلعاد، وأصيب في المعركة. بعد إصابته، ذهب للنقاهة في يزرعيل، حيث كان أيضاً يورام (بن أخزيا) بن أخاب، وكان هذا مريضاً وذهب هناك كي يتعافى (ع. ٢٨ - ٢٩).

٩: ١٠ - ٣٦ ملك ياهو في إسرائيل يتضمن هذا القسم أحداثاً دموية قبل أن يستقر الملك: أليشع يمسح ياهو ملكاً على إسرائيل (٩: ١ - ١٠)؛ ياهو يقتل يورام بن أخزيا بن أخاب ملك إسرائيل، وأخزيا بن يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا (٩: ١١ - ٢٩)؛ ياهو يقتل إيزابيل أرملة أخاب ملك إسرائيل (٩: ٣٠ - ٣٧)؛ ياهو يبيد نسل أخاب في يزرعيل (١٠: ١ - ١١)؛ ياهو يقتل أخوة أخزيا ملك يهوذا (١٠: ١٢ - ١٤)؛ ياهو يتحالف مع يهوناداب بن ركاب ويبيد نسل أخاب في السامرة (١٠: ١٥ - ١٧)؛ ياهو يبيد عبّاد البعل (١٠: ١٨ - ٢٩)؛ الرب يقطع مع ياهو عهداً (١٠: ٣٠ - ٣١)؛ حزائيل يضرب إسرائيل (١٠: ٣٢ - ٣٣)؛ موت ياهو ملك إسرائيل (١٠: ٣٢ - ٣٦).

٩: ١٠ - ١١ أليشع يمسح ياهو ملكاً على إسرائيل نتذكر لقاء إيليا مع الرب في مغارة جبل حوريب، حينها أمر الله إيليا أن يمسح ياهو ملكاً على إسرائيل (١ مل ١٩: ١٦). انتهت خدمة إيليا وحياته قبل أن يتمكن من ذلك، وجاء أليشع يكمل العمل الذي بدأه إيليا. وها هو أليشع يتمم أمر الرب، فأرسل أحد تلامذته من بني الأنبياء إلى راموت جلعاد (مرتفعات/جبال جلعاد)، حيث كان جيش إسرائيل مرابطاً للآراميين، أرسله لكي يمسح ياهو، رئيس جيش إسرائيل، ملكاً على إسرائيل. يبدو أن أليشع أراد تحقيق أمر الرب الذي أولاه لإيليا، لكن النص لا يشير إلى ذلك (ع. ١ - ٣). وصل النبي الرسول ووجد ياهو في المجلس بين معاونيه، فطلب منه أن يختلي به. وفي الخلوة، قام النبي بمسح ياهو ملكاً على إسرائيل، وأوكل إليه مهمة ضرب بيت أخاب انتقاماً لدماء الأنبياء التي سفكتها إيزابيل الملكة، ولكل المظالم التي عملها أخاب وإيزابيل؛ وصرح له أن الرب سيخرب بيت أخاب كما خرب بيت يربعام بن نباط (١ مل ١٤: ١٠؛ ١٥: ٢٩؛ ٢١: ١٢) وبيت بعشا بن أخيا (١ مل ١٦: ٣؛ ١١). وما كاد النبي الرسول ينتهي حتى فتح الباب وهرب وذلك بحسب تعليمات معلمه أليشع (ع. ٤ - ١٠).

٩: ١١ - ٢٩ ياهو يقتل يورام بن أخزيا بن أخاب ملك إسرائيل، وأخزيا بن يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا ما إن انتهى النبي، رسول أليشع، من مسح ياهو ملكاً على إسرائيل وذهب سريعاً، حتى عاد ياهو إلى معاونيه. وعند استفسارهم عما حدث - لأنهم

لقول الرب بغم النبي إيليا (ع. ٧-١٠: انظر ١ مل ٢١: ١٩، ٢١، ٢٩). وقتل ياهو كل من بقي لأخآب من أقرباء ومؤيدين وكهنة في يزرعيل (ع. ١١). كان من الطبيعي، بحسب عادات تلك الأيام، أن تقوم السلالة الملكية الجديدة، التي قامت على السلالة الملكية القديمة، أن تقوم بإبادة هذه السلالة الملكية القديمة. لكن ياهو يسند هذا العمل الدموي إلى مهمة إلهية أو كله إياها الله. لكن النبي هوشع سيستنكر هذه الجرائم (هو ١: ٤). مهما يكن رأي الكاتب- يبدو أنه مؤيد لتصرف ياهو (١٠: ٣٠)- لا يرضى الله بهذه الدموية، ولا يجوز لأحد أن يقوم بهذه الجرائم مدعيًا أنه يتم إرادة إلهية.

**١٠: ١٢-١٤ ياهو يقتل أخاه أخزيا ملك يهوذا بعد أن أباد بيت أخآب في يزرعيل**، جاء ياهو إلى السامرة لكي يبدأ بممارسة الحكم من العاصمة. صادف في طريقه، عند محطة «بيت عقد الرعاة» (هي بيت قاد اليوم، تبعد حوالي ٥ كلم عن بيت جن، أو جنين)، أخوة أخزيا، ملك يهوذا الذي قتله، وقد جاء لزيارة عائلته ليورام، ملك إسرائيل، وهم، على ما يبدو، لا يعلمون ما حدث. فأمر ياهو بقتلهم جميعًا ورميهم في بئر المحلة. وكان عددهم اثنين وأربعين رجلًا. لم يكتف ياهو بإبادة بيت أخآب، بل عمد إلى إبادة عائلة أخزيا، ملك يهوذا، فهم دخلوا في علاقة مصاهرة مع بيت أخآب (عثلثا بنت أخآب تزوجت يهورام، من نسل داود، الذي أصبح ملكًا في يهوذا، وولدت أخزيا، الذي بدوره أصبح ملكًا في يهوذا وقتله ياهو)، وخوفًا من أن ينظموا مقاومة ضد ملكه ونصرًا لبيت أخآب، عمد إلى إبادة أسرهم. عمل ياهو هذا كله باسم الله، والله منه براء.

**١٠: ١٥-١٧ ياهو يتحالف مع يهوناداب بن ركاب ويبيد نسل أخآب في السامرة بعد قتله أخيه أخزيا**، تابع ياهو طريقه نحو السامرة، فتلاقى مع شخص يدعى يهوناداب بن ركاب، الذي كان يتزعم جماعة دينية أصولية. يبدو أن هذا الأخير سمع بما يقوم به ياهو فقصده مقابلته. اكتشف الطرفان بأنهما متفقان على خطة معينة، فيهوناداب يؤيد تصرف ياهو، وياهو يحتاج لدعم يهوناداب. أصدع ياهو يهوناداب إلى مركبته، وشرح له مهمته «غيرته» التي أوكله الرب بها، وجاء به إلى السامرة حيث أفنى من بقي لأخآب هناك «حسب قول الرب لإيليا». يشدد الكاتب على هذا ويكرر هذه العبارة باستمرار. كان الركابيون يمثلون التيار الراديكالي في الديانة الإسرائيلية (را. إر ٣٥: ٦). وصعود يهوناداب إلى مركبة ياهو يعني أنه يدعم خطواته الإصلاحية في إبادة بيت أخآب وكهنة البعل. يمكن أن يوضع طلب ياهو تأييد يهوناداب الراديكالي له في إطار الاستغلال السياسي للدين.

**١٠: ١٨-٢٩ ياهو يبيد عبادة البعل في مهرجان حاشد لعبدة البعل وكهنتهم**، وفي مؤامرة خبيثة، قتل ياهو حشدًا كبيرًا. أوهم ياهو عبدة البعل وكهنته بأنه من أكبر أتباعه، وأنه نظم احتفالًا كبيرًا

بتمرده - كحلت عينيها وتزينت لأنها بنت ملك، وأرملة ملك، وأم ملك، ولا تظهر إلا بمظهر لائق، ولا تموت إلا كملكة. أطلقت إيزابل من النافذة، فرأت ياهو قادمًا، فسألته عن سبب قدومه داعية إياه «زمرى، قاتل سيده» (ع. ٣٠-٣١). وزمري هو العبد الذي عصى على سيده الملك إيلة وقتله وملك مكانه ودام ملكه سبعة أيام فقط (را. ١ مل ١٦: ٨-٢٠). إن في تسمية إيزابل لياهو زمري تهكمًا وتحديًا واتهامًا بالخيانة. رفع ياهو بصره إلى النافذة في الطابق العلوي فإذا بإيزابل وثلاثة من خسيانها، فطلب إليهم أن يرموها من النافذة، ولما رموها تكسرت وسال دمها على الأرض والجدران، ومرت الخيل على دمها، وتركها تصفي دمها وتموت (ع. ٣٢). دخل ياهو إلى القصر وأكل وشرب، ثم بعد فترة أرسل عبيده ليقوموا بدفن جثمان إيزابل كونها من سلالة ملكية، فوجدوا الكلاب قد أكلت لحمها ولم يتبق من جسدها إلا الجمجمة وكف اليد. ولما عاد عبيده وأخبروه، صرّح ياهو بأن ما حدث ما هو إلا تحقيق لكلام الرب بغم النبي إيليا عندما رتبت إيزابل قتل نابوت اليزرعيلي وسلبه أرضه (ع. ٣٣-٣٧: انظر ١ مل ٢١: ٢٣).

**١٠: ١-١١ ياهو يبيد نسل أخآب في يزرعيل** كان لأخآب سبعون ابنًا في السامرة موكلين إلى مرتين. العدد «سبعون» يعني الكثرة (انظر تك ٤٦: ٢٧؛ خر ١: ١٥؛ تث ١٠: ٢٢؛ قض ٨: ٣٠؛ ٩: ٢: ١٢: ١٤). رسم ياهو خطة محكمة، فيها الكثير من الدهاء، لإبادة نسل أخآب؛ وبموجبها، أرسل رسائل من يزرعيل إلى الرؤساء، شيوخ السامرة، ومربي أولاد أخآب السبعين هناك، يطلب إليهم فيها أن يقيموا الأفضل من أولاد أخآب ملكًا على إسرائيل وأن يستخدموا لهذا الغرض الجيش والمركبات والأسلحة التي بحوزتهم، وأن يستفيدوا من مدينتهم المحصنة للدفاع عن الملك (ع. ١-٣). ينطوي هذا الطلب على تهديد لكل من يحاول أن يساند سلالة أخآب واستمرارها في الملك. ارتاب وجهاء السامرة من الطلب، وشكوا في امكانياتهم الوقوف بوجه ياهو، فملكان أحران قتلها ولم يقويا على الوقوف بوجهه. فأرسل وجهاء السامرة رسولًا إلى ياهو مع رسالة يعلنون فيها لياهو تمنعهم عن تملك ملك من نسل أخآب، ومبايعته هو كملك على إسرائيل، ووضع أنفسهم بتصرفه، وتعهدهم بتنفيذ أوامره (ع. ٤-٥). فرد عليهم ياهو بأنهم إن كانوا جديين فيما أرسلوه له، فليقتلوا أبناء أخآب السبعين، ويضعوا رؤوسهم في سلال ويحملوها إليه في يزرعيل سريعًا (ع. ٦). ما إن وصلهم رد ياهو، حتى قتل وجهاء السامرة أولاد أخآب السبعين وعملوا بحسب تعليماته. ولما وصلت الرؤوس إلى ياهو، أمر بوضعها في كومتين، ثم دعا شعب إسرائيل وأعلمهم بأن ما سمعوه صحيح، فها هو قد عصا سيده وقتله، وها هو نسل أخآب وقد أريد، وأنه يبرئ شعب إسرائيل من كل المآثم والجرائم التي اقترفها أخآب وبيته، وأنه قام بهذا العمل إنفاذًا

حزائيل، ملك آرام من السيطرة على كل أراضي شرق الأردن التي كانت تحت سيطرة إسرائيل، حيث سكن بنو جاد ورأبونين ونصف سبط منسى (تث ٣: ١٢ - ١٣؛ يش ٢٢: ٩ - ١٣). هذه هي متطلبات العهد: الأمين، يوسع الرب تخومه، والخائن، يُقلص الرب تخومه.

**١٠: ٣٢-٣٦ موت ياهو ملك إسرائيل** بقية أمور ياهو مكتوبة في سفر «أخبار الأيام لملوك إسرائيل» الذي نجهله (ع. ٣٤). مات ياهو ودفن مع آبائه في السامرة، وملك يهوآحاز ابنه عوضاً عنه (ع. ٣٥). ملك ياهو على إسرائيل مدة ثمان وعشرين (٨٤٥-٨١٩) (ع. ٣٦). معنى اسمه: «يهوه هو الله». وهو ابن يهوذا (يهوه يقضي)، وكان الملك العاشر في إسرائيل، مؤسس السلالة الخامسة المسماة «ياوا» في النصوص الآشورية. عاصره في يهوذا: يورام، اخزيا، عثليا (الملكة)، يواش. نحن ما زلنا في إطار خدمة النبي أليشع، ولا ندري سبب تغيب الكاتب أليشع عن الأحداث. رأينا بأن تقرير الكاتب يقول بأن ياهو قد تم مشيئة الرب، والرب راض عن أفعاله، طبعاً ما عدا سلوكه بحسب خطايا يربعام بن نباط. وبحسب تقرير الكاتب، لم يكن الباعث لعمل ياهو عسكرياً سياسياً، بل دينياً. دفعه إلى ذلك النبي إيليا (١ مل ١٩: ١٦) والنبي أليشع (١ مل ١٩: ١٧؛ ٢ مل ٩: ١) والركابيون (٢ مل ١٠: ١٥) لدرء الخطر الناتج عن التأثير المتزايد لعبادة بعل في مملكة الشمال. اعتبروا أن ياهو يقدر أن يعود بالشعب إلى عبادة يهوه. أنبياء الصحوة، نبذوا تصرفات ياهو بسبب تعصبه وإجرامه. وقد ظل ذكر هذه المجازر الرهيبة التي اقترفها ياهو حياً في العقول بعد مئة سنة (انظر هو ١: ٤). ويظهر اختلاف في الموقف من ياهو وعمله بين كاتب سفر الملوك وأنبياء الصحوة، فهل من سبيل للتوفيق بين الموقفين؟ طبعاً يحاول بعض المفسرين التوفيق بين الموقفين، وبرأينا، لم يوفقوا، لأن التوفيق بين الرأيين مستحيل. والجواب المعتدل والمنطقي هو أنه، وبكل بساطة، لما درس أنبياء الصحوة الأمور بحسب منطقهم الإصلاحية والنضوج الديني الذي كانوا قد توصلوا إليه، رأوا أن هذه المجازر التي قام بها ياهو لا يمكن أن تخدم مصلحة الله، خاصة وأن نتائج حياة ياهو لم تكن مرضية، فلم يعيش حياة أمانة لله وملتزمة بالعهد. وهذا يسمح لنا بتأوين (تسييق) الكثير من مواقف شعب العهد القديم التي أتت في ظروف حضارية خاصة جداً وعلينا اليوم أن نطبقها في ظروف مختلفة.

**١١: ١-٢٠ ملك عثليا في يهوذا** (ع. ١-٣)؛ حراسة يواش (ع. ٤-١٠)؛ تنويع يواش (ع. ١١-١٢)؛ قتل عثليا (ع. ١٣-١٦)؛ تجديد العهد (ع. ١٧-٢٠)

**١١: ١-٣ عثليا تبدي النسل الملكي في يهوذا ونجاة يواش بن اخزيا** عثليا ابنة (أخت) أخاب، ملك إسرائيل، تزوجت يهورام الذي أصبح ملك يهوذا، وهي أم اخزيا، ملك يهوذا. لما رأت أن ابنها

للبعل، فدعا إليه كل أتباعه وكهنته، وهدد بالقتل كل من يتأخر على الحضور. وعلق الكاتب: «وقد فعل ياهو بمكر لكي يفني عبدة البعل (ع. ١٨ - ١٩). استجاب لدعوة ياهو كل عابدي البعل وكهنته، وحضر في المعبد حشد كبير من الناس. وأمر ياهو المسؤول عن الملابس أن يعطي كلاً من الحضور ملابس (يبدو أنه كانت توجد ملابس طقسية) (ع. ٢٠ - ٢٢). ثم دخل ياهو ويهوذا والركابي إلى المعبد، وطلبوا من الحضور البحث عن أي من «عبيد الرب» (أتباع يهوه) لكي يطردوه. وأقام خارجاً ثمانين رجلاً وطلب إليهم أن يحكموا غلق الأبواب، وألاً يتركوا أحداً يفلت، ومن ترك أحداً ينجو تكون حياته مكان حياة الناجي (ع. ٢٣ - ٢٤). بدأ الاحتفال، وقدم العابدون ذبائحهم، وقاموا بطقوسهم التي كانت تقوم على الرقص والصراخ (انظر ١ مل ١٨)، ولما انتهوا، طلب ياهو من رجاله المرابطين التقدم والشروع بضربهم جميعاً بحد السيف، فبادوهم جميعاً. ثم ساروا إلى محراب بيت البعل، وأخرجوا كل التماثيل وأحرقوها. وكسروا تماثيل البعل، وهدموا بيته وحولوه إلى مزبلة «إلى هذا اليوم» (إشارة إلى كتابة متأخرة) (ع. ٢٥ - ٢٧). ويلق الكاتب الملهم: «واستأصل ياهو البعل من إسرائيل. ولكن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ لم يحد ياهو عنها، أي عجول الذهب التي في بيت إيل والتي في دان» (ع. ٢٨ - ٢٩). يبدو أن ياهو كان يقصد، من هذا العمل، إبادة بيت أخاب وكل ما يمدده بالقوة والسلطة. فعبادة البعل التي جلبتها إيزابيل من بلدها صيدون شكلت مصدر قوة لبيت أخاب واستخدمها كأداة لإحكام سيطرته على الشعب. هذا أيضاً استغلال الدين لإغراض سياسية. أما معبدا بيت إيل ودان وعجلاهما الذهبيان، فلم يمسهما ياهو.

**١٠: ٣٠-٣١ الرب يقطع مع ياهو عهداً** «وقال الرب لياهو دائماً بحسب الكاتب): «مَنْ أَجَلَ أَنْكَ قَدْ أَحْسَنْتَ بِعَمَلٍ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنِي، وَحَسَبَ كُلِّ مَا بَقَلْبِي فَعَلْتَ بَيْنَ أَخَابَ، فَأَبْنَأُوكَ إِلَى الْجِيلِ الرَّابِعِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ.» (ع. ٣٠). إنها مكافأة إلهية بحسب الشريعة (خر ٢٠: ٦). هذا تبرير الكاتب لتبوء أربعة ملوك من نسل ياهو على إسرائيل (انظر ع. ٣٥: ١٣؛ ١ و ١٠: ١٤؛ ٢٣: ١٥ و ٨). ثم يعلق الكاتب: «وَلَكِنْ يَاهُو لَمْ يَتَحَفَّظْ لِلسُّلُوكِ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ. لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرْبَعَامَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يَخْطِئُ» (ع. ٣١). عندنا هنا تقييماً مختلفاً لمسلكية ياهو، بحسب التقرير الأول، كان ياهو أميناً ونال مكافأة من الله؛ وبحسب التقرير الثاني، لم يكن ياهو أميناً. يُظهر لنا هذا تنوع المصادر التي استقى منها الكاتب مادته.

**١٠: ٣٢-٣٣ حزائيل يضرب إسرائيل** ما زال الكاتب في إطار ملك ياهو على إسرائيل. وبسبب عدم أمانة ياهو، «ابْتَدَأَ الرَّبُّ يَقْصُ إِسْرَائِيلَ، فَضَرَبَهُمْ حَزَائِيلُ فِي جَمِيعِ تَخُومِ إِسْرَائِيلَ.» وتمكن

الشعب الله والملك على الأمانة والإخلاص؛ والعهد الثالث هو بين الملك والشعب، فالملك يعاهد الشعب بالعمل لخيره، والشعب يعد الملك بالطاعة (ع. ١٧). وكنتيجة عملية لتجديد العهد، دخل الشعب هيكل البعل، وكسروا كل التماثيل، ثم هدموا الهيكل نفسه وقتلوا متان كاهنه. وأقام يهوئاداع حرساً حتى لا يُصار فيما بعد إلى إعادة بناء هيكل البعل (ع. ١٨). بعد ذلك، حمل الشعب والحرس الملك يوأش في موكب جليل ونقلوه من الهيكل إلى القصر الملكي حيث جلس على عرشه (ع. ١٩). وفرح الشعب لكل هذا وهدأت المدينة خاصة بعد أن قُتل عثليا في القصر (ع. ٢٠). تكرر خبر قتل عثليا قد يكون مرده إلى تعدد المصادر.

١١: ٢١-١٢: ٢١ ملك يوأش في يهوذا كان يهوآش ابن سبع سنين حين ملك (ع. ٢١). بالطبع، الملك الفعلي كان يهوئاداع. ويوأش كان الملك الشرعي، كونه من نسل داود. يهوآش هو الملك الثامن على يهوذا (يهوآش عثليا قطعت النسل الداودي) بن أخزيا بن يهورام بن يهوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام). بدأ ملكه في السنة السابعة لملك ياهو على إسرائيل. ملك أربعين سنة، أي من ٨٣٧-٧٩٧ ق. م. اسم أمه «ظبية» من بئر سبع (١: ١٢). يلاحظ أن أسماء أمهات الملوك تذكر، ولا تُهمل أسماء نساءهم، ذلك لأن للأمم موضعاً معتبراً في البلاط الملكي (انظر ١٤: ٢؛ ١٥: ٢ وتابع؛ ١٨: ٢؛ ٢١: ١؛ ٢٢: ١). كان يهوئاداع الكاهن معلمه في كل ما يتعلق بأمور الشريعة - لفترة محدودة على ما يبدو - وكان مطيعاً لإرشاداته وعمل المستقيم في عيني الرب طوال المدة التي كان فيها يتلقى التعليم من يهوئاداع (ع. ٢). تعليم الملوك الشريعة من مهام الكهنة والأنبياء (تث ٣١: ٩-١٣؛ إر ١٨: ٨؛ حز ٧: ٢٦؛ مي ٣: ١١). وعلى الرغم من استقامة الملك، يقول الكاتب الملهم بأن المعابد الوثنية على الجبال والتلال بقيت وكان الشعب يقدم الذبائح فيها (ع. ٣)، لكنه لم يذكر الأسباب؛ هل كان هذا تخاذلاً من الملك، أم إصرار الشعب؟ أوصى يوأش الكهنة بأن يقبلوا المال المقدم لهم أو للهيكل بدل نذور أو ذبائح أو تقدمات أو هبات، وأن يستخدموه في أعمال الترميم كلما دعت الحاجة إلى ذلك (ع. ٤-٥). لكن يبدو أن الكهنة تقاعسوا في هذا الأمر، ما دعا يوأش إلى استدعاء يهوئاداع، رئيس الكهنة، وكهنته وسألهم عن الأمر. ثم اتفق ويهوئاداع أن يمتنع الكهنة عن أخذ المال وإنفاقه على أنفسهم، فصنعوا صندوقاً للتبرعات، وضعوه في باب الهيكل بجانب المذبح، واقاموا عليه حارساً وكاتباً. وكان كلما امتلأ الصندوق، يصعد كاتب الملك ورئيس الكهنة ويأخذان المال ويدفعانه مباشرة إلى العمال الذين يعملون في الترميم والإصلاحات أو ثمن مواد بناء (ع. ٦-١٢). يبدو أن أعمال الترميم والإصلاحات كانت كثيرة، فكانت تستهلك كل الأموال المجموعة، ولم يتمكنوا من عمل أية فضة للهيكل

الملك أخزيا مات، ذهبت فقتلت كل النسل الملكي واغتصبت الملك على يهوذا. لكن يهوشع، بنت الملك يورام، من امرأة أخرى على ما يبدو، وأخت أخزيا، أخذت ابن هذا الأخير المدعو يوأش، الذي كان مازال طفلاً رضيعاً (ابن سنة؛ انظر ع. ٣ مع ع. ٢١)، وسلمته ليهوئاداع، رئيس الكهنة آنذاك، خبأه هذا الأخير في بيت الرب، وأخذت معه مرضعته. بعملها هذا، أنقذت يهوشع النسل الداودي من الاضمحلال وأمنت استمرارية النسل الداودي على عرش يهوذا. بقي يوأش مخبئاً لمدة ست سنوات، في الوقت الذي كانت فيه عثليا تملك على يهوذا وتمسك بها بعضاً من حديد. تُعتبر عثليا الملكة السابعة في يهوذا، وملكّت خلال الفترة ٨٤٢-٨٣٧ ق. م.

١١: ٤-١٢ تنويج يوأش بقي يوأش مخبئاً ست سنين. وفي السنة السابعة قرر يهوئاداع، رئيس الكهنة أن ينظم احتفالاً علنياً لتنويج الملك الناجي، الذي هو من نسل داود. ولهذه الغاية، استدعى يهوئاداع قادة الحرس الملكي وحراس القصر إلى هيكل الرب، وقطع معهم عهداً على الوفاء لنسل داود. ثم أعلمهم بنجاة ابن لداود من بطش عثليا. وزع يهوئاداع الحرس بين قصر الملك والهيكل وأمرهم بالإحاطة بالملك العتيد من كل الجوانب وقتل أي شخص يحاول الاقتراب منه. أخذ الحرس أماكنهم بحسب خطة يهوئاداع، ثم سلمهم هذا الأخير أسلحة كان داود قد أودعها الهيكل. وأخيراً أخرج لهم يوأش، الملك العتيد. ثم وضع يهوئاداع على رأسه تاج الملك، وتهدد الحرس والحضور الوفاء للملك، ثم مسحه يهوئاداع بحسب العادة، ونادى الشعب: «يحيا الملك».

١١: ١٣-١٦ قتل عثليا كانت عثليا في قصر الملك الذي لا يبعد كثيراً عن الهيكل، فسمعت الضجيج والتحية الملكية بصوت عالٍ. فخرجت لترى الناس مجتمعين في الهيكل، واقتربت لترى ما يحدث، وهالها رؤية الملك المتوج الجديد، يوأش، ابن السبع سنوات، ابن داود، واقفاً على المنبر، كما جرت العادة. والموسيقى تصدح، والناس يفرحون. فشقت عثليا ثوبها، علامة الحزن والغضب، وصاحت: «خيانة». طبعاً لم تكن تتصور أن ابناً لداود نجا من بطشها. هذا العمل بالنسبة لها خيانة، لكن بالنسبة لعمه يوأش يهوشع، ورئيس الكهنة يهوئاداع هذه أمانة للرب، فهما يعملان على استمرارية العهد الداودي على عرش إسرائيل (يهوذا) (انظر ٢ صم ٧). عندما رأى يهوئاداع ما جرى، أمر الحرس أن يلقوا القبض على عثليا، وأن يجروها خارج الهيكل ويقتلوا، ويقتلوا أيضاً كل من جاء معها ويتبعها. فألقوا القبض عليها، وجروها إلى القصر الملكي حيث قتلوا.

١٧: ١-٢٠ تجديد العهد الكلام هنا عن ثلاثة عهود: الأول، بين الملك والله، فالملك يتعهد أمام الله بتحقيق إرادته والحفاظ على عهده بأمانة؛ والعهد الثاني هو بين الشعب والرب، وبموجبه يعاهد

ملك أمصيا في يهوذا. يقول تقرير الكاتب الملهم بأن يهوآش صنع الشر في عيني الرب وسلك في طريق يربعام بن نباط الذي خط طريق الوثنية في إسرائيل. يبدو أن يهوآش تحارب مع أمصيا ملك يهوذا، لكن الكاتب أدرج أخبار في الحرب ضمن أخبار ملك أمصيا (١٤: ٨-١٤)، ويبدو أنه استقاهها من تقليد آخر. بقية أخباره في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل الذي لا نعرف عنه شيئاً. مات يهوآش ودفن في السامرة مع ملوك إسرائيل الذين سبقوه.

**١٣: ١٤-٢١ أليشع يتنبأ بانتصار يهوآش ملك إسرائيل على آرام ثلاث مرات ثم يموت هنا فقط ختام سيرة أليشع.** كل أخبار الملوك التي وردت تأتي ضمن هذه السيرة. مرض أليشع مرضاً خطيراً، وذهب يهوآش ملك إسرائيل لزيارته. هنا يعود بنا الكاتب إلى الوراء، إلى حدث قبل وفاة يهوآش (يوآش) ملك إسرائيل. وقف يهوآش على رأس أليشع الممدد على سريره وصار يبكي ويتحبب قائلاً: «يا أبي يا أبي، يا مركبة إسرائيل وفرسانها» (ع. ١٤). سبق أليشع وقال القول نفسه عن إيليا عند وداعه (٢: ١٢)، فهل يُذكر الملك أليشع بآخر يوم في حياة معلمه؟ أو هل يوحد بينه وبين معلمه، فيجعله بنفس مستوى إيليا؟ لما رأى أليشع يهوآش الملك، أراد أن يودعه بعلامة نبوة، فطلب منه أن يمسه القوس والسهم ويتخذ موضع الضرب، ووضع أليشع يده على يديه كمن هو نفسه من يضرب بالسهم، وطلب منه أن يفتح النافذة المطلّة إلى الشرق لكي يرسل السهم منها. ولما فعل، قال له أليشع: هذا سهم خلاص الرب من آرام - فأرام تقع إلى الشرق - فستضرب آرام حتى تقنيها في أفيق. يد أليشع على القوس تمثل يد الله، فالنصر يأتي من الله، لكن مع المساهمة البشرية. تقع أفيق في شرق الأردن، بين شونم ويزرعيل (انظر ١ مل ٢٠: ٢٦). ثم طلب أليشع من الملك أن يرمي السهام في الأرض، فرمى ثلاث سهام. عندها غضب أليشع وقال له: لو كنت رميت خمس أو ست سهام لكنت ضربت آرام حتى الفناء، والآن لأنك رميت ثلاثاً فقط، فإنك تضرب آرام ثلاث مرات (ع. ١٤-١٩). والمعنى هو: ما كان يجب أن تكفي بنصر جزئي بعد ثلاث ضربات، بل كان يجب أن تستعمل السهام كلها حتى تحظى بنصر كامل. بالمعنى الروحي، آرام هي بلاد وثنية، وكان على الملك أن يستخدم كل قوته لينهي العبادات الوثنية في إسرائيل. لكنه، وعلى الرغم من إصلاحه الروحي، لم يُبد كل العبادات الوثنية، وأظهر إخلاصاً جزئياً للعهد. ثم يورد الكاتب الملهم خبر موت أليشع باقتضاب: «مات أليشع فدفنوه» (ع. ٢٠). وأتى بخبر آخر يترتب حدوثه بعد موت أخاب بزمان طويل، فجثمانه اهترأ وبقيت عظامه. في بداية الربيع، فصل الحروب عامة، أتى غزاة مؤابيون ليغزوا في إسرائيل. وحدث أن أتى عدد من بني إسرائيل لدفن أحد موتاهم، شعروا بخطر الغزاة المؤابيين يداهمهم، فتركوا الجثمان وهربوا.

(ع. ١٣-١٤). يبدو أن الملكة عثليا هي من حولت الهيكل إلى معبد للبعل، واستخدمت كل أنية الفضة والذهب في طقوس عبادة البعل (٢ أخ ٢٤: ٧). كان القائمون على الأعمال يتحلون بالأمانة، فلم يكن الكاتب يحاسبهم (ع. ١٥). تقدمت ذبائح الخطيئة وذبائح الإثم، لم تكن تُستخدم لأعمال الترميم، بل كانت مخصصة لمصروف الكهنة (ع. ١٦). في أيام الملك يهوآش، صعد حزائيل، ملك آرام دمشق، واحتل جت، إحدى مدن الفلسطينيين، وأراد أن يتابع زحفه إلى أورشليم، لكن يهوآش أخذ كل الذهب والفضة التي كانت في الهيكل، والتي كان قد جمعها ملوك يهوذا قبله، وأرسلها إلى حزائيل حتى يوقف زحفه نحو أورشليم، وهكذا كان (ع. ١٧-١٨). لم يعلق الكاتب على هذا التصرف، لكن في أماكن أخرى اعتبر هذا تصرفاً مرفوضاً (انظر ١ مل ١٤: ٢٥؛ ١٥: ١٨؛ ١٨: ١٥-١٦؛ ٢ مل ٢٤: ١٣). كانت نهاية الملك يهوآش بشعة، فقد قام عليه اثنان من عبيده واغتالوه في بيت القلعة (بيت ملو) في الطريق النازل إلى سلى، وهي أحياء من أورشليم قريبة من الهيكل ومن القصر الملكي حيث كان يقيم الملك (انظر ٢ صم ٥: ٩؛ ١ مل ٩: ١٥). دفن مع آبائه في مدينة داود. بقية أخباره موجودة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا الذي نجهله. ملك ابنه أمصيا عوضاً عنه. (ع. ١٩-٢١).

**١٣: ١-٩ ملك يهوآحاز في إسرائيل في السنة الثالثة والعشرين** لملك يهوآش بن أحمزيا في يهوذا، الموافقة ٨١٩ ق. م.، ملك يهوآحاز بن ياهو في إسرائيل، ودام ملكه سبع عشرة سنة، أي حتى ٨٠٢ ق. م. (ع. ١). تقييم الكاتب الملهم لهذا الملك يقول بأنه صنع الشر في عيني الرب وسار في طريق يربعام (ع. ٢)، وهي المقولة الملحقة بمعظم ملوك إسرائيل. وبناء للفكر اللاهوتي الذي يقدمه الكاتب الملهم، بسبب هذه الشرور، «دفعهم الرب ليد حزائيل ملك آرام وليد بنهد بن حزائيل» (ع. ٣). يبدو أن الآراميين ضايقوا بني إسرائيل كثيراً، فصرخ يهوآحاز إلى الله، فأرسل لهم مخلصاً، وعاد السلام: «وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي خِيَامِهِمْ كَأَمْسٍ وَمَا قَبْلَهُ» (ع. ٤-٥). نحن أمام كلام شبيه بكلام سفر القضاة حيث يسود اللاهوت الاشتراعي: الأمانة للعهد تسبب البركة وخيانة العهد تستجلب العقاب الإلهي. اليوم نعلم، في ضوء العهد الجديد، أن عمل الخير ينتج عنه الخير، وعمل الشر ينتج عنه الشر، والله يشملنا برحمته في كل الظروف، ومثل الإبن الضال (لو ١٥) يُصور لنا هذا التعليم.

**١٣: ١٠-١٣ ملك يهوآش في إسرائيل** يهوآش هو الملك الثاني عشر في المملكة الشمالية، إسرائيل (يهوآش بن-يوآحاز بن-ياهو-يورام بن-أحمزيا بن-أخاب بن-عمري-زمري-أيلة-بعشا-ناداب بن-يربعام). ملك في السنة السابعة والثلاثين ليوآش، ملك يهوذا، (يوآش ويهوآش الاسم نفسه بالعبرية)، أي ٨٠٢ ق. م.، وملك ست عشرة سنة، أي حتى ٧٨٨ ق. م. امتد حكمه حتى عاصر

كأمانة أبيه يوأش، لكن بدرجة أقل من داود الذي هو المعيار، ومعابد المرتفعات الوثنية بقيت عاملة (ع. ٣-٤). ولما تثبت في الملك، انتقم لأبيه، فقتل العبدین اللذين قتلاه (انظر ١٢: ٢٠)، ولم يقتل أولادهما وذلك بحسب ما تنص عليه شريعة الرب (تث ٢٤: ١٦؛ حز ١٨: ٤، ٢٠) (ع. ٥-٦). هاجم أدوم، شرقي الأردن، وقاتلهم في وادي الملح (وادي عربية الممتد من البحر الميت حتى خليج العقبة)، وقتل عدداً كبيراً، وأخذ منها سالع (تعني الصخر، وهي أدومية أو منطقة بئرا اليوم) وجعل اسمها «يقتتل» أي «يقتل من أجل الله»، أو «الله يقتل» (انظر يش ١٥: ٣٨)، وبقي الاسم هكذا لحين كتابة النص: «إلى هذا اليوم» (ع. ٧). رأى شعب العهد القديم أن الرب يقود حروبهم ويفتك بالأعداء... لكن الله الذي عرفناه في المسيح - وهو نفسه إله العهد القديم - لا يعرف إلا المحبة. أرسل أمصيا تهديداً إلى يوأش ملك إسرائيل ودعاه إلى المبارزة (ع. ٨). نجهل أسباب هذه الحرب، يبدو أن العلاقات بين يهوذا وإسرائيل بدأت تسوء. وردّ يوأش بمثل شعبي: «العوسج أرسل إلى الأرض يطلب منه ابنته زوجة لابنه. قام حيوان مفترس من لبنان وداس العوسج فهشمه» (انظر قض ٩: ٨). رأى يوأش أن أمصيا تكبر بعد ضربه أدوم، ونصحه بالتواضع وعدم استجلاب الشر بالدعوة إلى الحرب لئلا يسقط ويسقط يهوذا معه (ع. ٩-١٠). يرى يوأش أن أمصيا تكبر من العوسج، وهو شجيرة شائكة وضعيفة ومكروهة، الذي طلب أن يصاهر الأرض، وهذا شجرة باسقة وكبيرة وصلبة. وكانت النتيجة أن حيواناً برياً (ليس الأرض لأن العوسج لا يستحق تحرك الأرض) دهس العوسج وهشمه. لم يأخذ أمصيا بالنصيحة، وقامت الحرب في بيت شمس التي ليهوذا، عين شمس اليوم، غرب أورشليم على بعد حوالي خمسة وعشرين كلم. وانهزم يهوذا، وألقى يوأش القبض على أمصيا، وأتى به إلى أورشليم وهدم قسماً كبيراً من السور، وسلب الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وبيت الملك، مع بعض الرهائن، ثم عاد إلى السامرة (ع. ١١-١٤). يستطرد الكاتب ليتكلم عن نهاية يوأش (ع. ١٥-١٦) سبق وورد في ١٣: ١٢-١٣، مع أن سياق الكلام عن أمصيا، ربما هذا إقحام من تقليد آخر. يعود الكاتب إلى أمصيا، ليخبر عن نهاية حياته: عاش خمس عشرة بعد موت يوأش؛ بقية أموره مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا الذي نجهله؛ فتن عليه عبيده، وهرب إلى لخيش في فلسطين، قرب غزة (تل الدوير، انظر يش ١٠: ٣)، فتيعوه وقتلوه هناك، وأتوا بجثمانه إلى أورشليم حيث دفنوه مع آبائه في مدينة داود. وبإيعاد الشعب ابنه عزريا ابن الست عشرة سنة وملكوه عوضاً عن أبيه، الملك الجديد هو الذي بنى (رمم) مدينة أيلة في أدوم، والتي كانت قد خرجت من سلطة يهوذا (٨: ٢٠-٢٢) (ع. ١٧-٢٢). يهم الكاتب أن يؤكد على استمرار السلالة الداودية.

وسقط الجثمان على عظام أليشع، ولما مسحها قام على رجله (ع. ٢٠-٢١). إنه خبر مدرashi: تمتلك عظام أليشع قوة الحياة التي كان يتمتع بها النبي خلال حياته (را. ٤: ٣٢-٢٧). هنا تنتهي سيرة أليشع التي كانت قد بدأت في (٢: ١٩).

## ١٣: ٢٢-١٦: ٢٠ خامساً: الانحدار السريع لإسرائيل ويهوذا

يورد الكاتب، في هذا القسم أخبار ملوك إسرائيل ويهوذا بشكل سريع، ويشير فيها إلى الانحدار الروحي السريع. وسيكون الانحدار في إسرائيل أسرع من يهوذا، ويظهر ذلك في سلسلة من الملوك الضعفاء، الأمر الذي سيقود إلى نهاية المملكة الشمالية بالسبي الآشوري. يحتوي هذا القسم على الأخبار التالية: حزائيل وبنهدهد، ملكا آرام (١٣: ٢٢-٢٥)؛ ملك أمصيا في يهوذا (١٤: ١-٢٢)؛ ملك يربعام الثاني في إسرائيل (١٤: ٢٣-٢٩)؛ ملك عزريا في يهوذا (١٥: ٧)؛ ملك زكريا في إسرائيل (١٥: ٨-١٢)؛ ملك شلوم في إسرائيل (١٥: ١٣-١٦)؛ ملك منحيم في إسرائيل (١٥: ١٧-٢٢)؛ ملك فقيح في إسرائيل (١٥: ٢٣-٢٦)؛ ملك فقيح في إسرائيل (١٥: ٢٧-٣١)؛ ملك يوثام في يهوذا (١٥: ٣٢-٣٨)؛ ملك آحاز في يهوذا (١٦: ١-٢٠).

١٣: ٢٢-٢٥ حزائيل وبنهدهد، ملكا آرام يأتي هذا الخبر في سياق خبري يوأش ويوأش ملكي إسرائيل. فقد عرف ملك يوأش أن تعديت كثيرة على المملكة من قبل حزائيل، ملك آرام، وسيطر على عدد من مدنها، غير أن الرب رحم إسرائيل وأنقذه «لأجل عهده مع إبراهيم وإسحق ويعقوب»، على حد قول الكاتب الملهم، و«لم يشأ أن يستأصلهم...» (ع. ٢٢-٢٣). نلاحظ أن عهد الله مع إسرائيل يعود إلى عهده مع إبراهيم (را. خر ٣: ٢٤: ٦: ٢)، لكن عهده مع يهوذا يعود إلى عهده مع داود (٢ صم ٧). توجد إشارة ضمنية إلى الأرض وإلى السبي، فالرب ما استأصل إسرائيل من أرضه «حتى الآن»، وموضوع الأرض موضوع حيوي في إسرائيل وازدادت حيويته في اللاهوت الاشتراعي وبعد السبي (انظر تث ٦: ١٠: ٩: ٥، ٢٧: ١١: ٨). حزائيل مات، وملك ابنه بنهدهد، وفي عهده استرجع يوأش، ملك إسرائيل، المدن التي سلبها حزائيل أبوه في عهد يهوآحاز، نتيجة لثلاثة انتصارات حققها. توجد هنا إشارة إلى علامة أليشع في (ع. ١٨-١٩).

١٤: ١-٢٢ ملك أمصيا في يهوذا هو الملك التاسع في المملكة الجنوبية (أمصيا بن يوأش - عثليا - أخزيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام). اسم أمه يهوعدان. كان عمره خمساً وعشرين سنة حين ملك. ملك في السنة الثانية ليوأش بن يوأحاز، ملك إسرائيل، أي ٨٠٠ ق. م. ودام ملكه تسعاً وعشرين سنة، أي حتى ٧٧١ (ع. ١-٢). وبحسب تقرير الكاتب الملهم، كان أميناً للعهد،

عزريا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لمولك يهوذا وهو سفر لا نعرف عنه شيئاً. مات الملك ودفن كالمولك في مدينة داود ومولك ابنه يوثام (ع. ٦-٧). ملاحظة عن تاريخ نهاية ملكه. التاريخ الذي قدمناه هو تاريخ موته، كان هو الملك الشرعي على الرغم من برصه.

**١٥: ٨-١٢ ملك زكريا في إسرائيل** هو الملك الرابع عشر في إسرائيل (زكريا بن- يربعام الثاني بن- يوشاب بن- يوحاز بن- ياهو- يورام بن- أخزيا بن- أخاب بن- عمري- زمري- أيلة- بعشا- ناداب بن- يربعام). ملك في السنة الثامنة والثلاثين لملك عزريا في يهوذا، أي ٧٥٠ ق. م. ودام ملكه ستة أشهر فقط (ع. ٨). عمل الشر في عيني الرب سائراً في طريق آبائه وخاصة يربعام بن نباط (ع. ٩). ثار عليه شلوم بن يابيش فقتله وملك مكانه. بقية أموره في سفر أخبار الأيام الأول لمولك إسرائيل. يورد الكاتب ملاحظة: كان زكريا الجيل الرابع لياهو ملك إسرائيل، وقد تم بذلك وعد الرب لياهو (انظر ٢ مل ١٠: ٣٠؛ خر ٢٠: ١). هذه طبعا ملاحظة تحريرية.

**١٥: ١٣-١٦ ملك شلوم في إسرائيل** هو الملك الخامس عشر في إسرائيل (شلوم- زكريا بن- يربعام الثاني بن- يوشاب بن- يوحاز بن- ياهو- يورام بن- أخزيا بن- أخاب بن- عمري- زمري- أيلة- بعشا- ناداب بن- يربعام). ملك في السنة التاسعة والثلاثين لملك عزريا (عزيا) في يهوذا، أي ٧٥٠ ق. م. ودام ملكه شهراً واحداً (ع. ١٣). اغتاله منحم بن جادي من ترصة- عاصمة إسرائيل القديمة (١ مل ١٤: ١٧)- وملك عوضاً عنه (ع. ١٤). بقية أموره في سفر أخبار الأيام لمولك إسرائيل (ع. ١٥). يبدو أن منحم لقي مقاومة في تقصص (تفوح في اليونانية، وهي قرب شيلوه. بحسب ١ مل ٤: ٢٤ هي مدينة على الفرات ونستبعد أن يكون هذا المقصود) ففتحها بالقوة و«شقوا حواملها»، نوع من الإجماع الذي كان معروفاً.

**١٥: ١٧-٢٢ ملك منحم في إسرائيل** هو الملك السادس عشر في إسرائيل (منحم- شلوم- زكريا بن- يربعام الثاني بن- يوشاب بن- يوحاز بن- ياهو- يورام بن- أخزيا بن- أخاب بن- عمري- زمري- أيلة- بعشا- ناداب بن- يربعام). ملك في السنة التاسعة والثلاثين لملك عزريا (عزيا) في يهوذا، أي ٧٥٠ ق. م. ودام ملكه عشر سنين، أي حتى ٧٤٢ ق. م. (ع. ١٧). عمل الشر في عيني الرب سائراً في طريق آبائه وخاصة يربعام بن نباط (ع. ١٨). في أيامه أتى فول ملك آشور (هو نفسه تغلاثفلاسر ٧٤٧-٧٢٥ ق. م.)، ودفع له منحم جزية كبيرة، لكي يثبت ملكه، حصلها من ضريبة خمسين شاقل فضة فرضها على كل رجل في المملكة، ما جعل ملك آشور يعدل عن احتلال المملكة (ع. ١٩-٢٠). بقية أمور منحم مكتوبة في سفر أخبار الأيام لمولك إسرائيل. مات وملك فقحيا ابنه (ع. ٢١-٢٢).

**١٤: ٢٣-٢٩ ملك يربعام الثاني في إسرائيل.** يربعام الثاني، نسبة إلى يربعام الأول الذي هو ابن نباط، الملك الأول في المملكة الشمالية. هو الملك الثالث عشر في إسرائيل (يربعام الثاني بن- يوشاب بن- يوحاز بن- ياهو- يورام بن- أخزيا بن- أخاب بن- عمري- زمري- أيلة- بعشا- ناداب بن- يربعام). ملك في السنة الخامسة عشرة لملك أمصيا في يهوذا، أي ٧٨٨ ق. م. ودام ملكه إحدى وأربعين سنة، أي حتى ٧٥٠ ق. م. عمل الشر في عيني الرب سائراً في طريق آبائه وخاصة يربعام بن نباط (ع. ٢٣-٢٤). استرد لإسرائيل جميع الأراضي التي خسرتها شرقاً من مدخل حماة في الشمال حتى البحر الميت جنوباً. «مدخل حماة» في الشمال الشرقي من حيث كان يدخل الغزاة (را. ١ مل ١٤: ١٠). ويقول الكاتب إن هذا حدث تكميلاً لقول النبي يونان بن أمتاي النبي الذي من جت حافر (ع. ٢٥). «جت حافر» اليوم «المشهد» تقع غرب بحيرة طبرية على بعد حوالي ٥ كم، وإلى الشمال الشرقي من الناصرة على بعد حوالي ٥ كلم (انظر يش ١٩: ١٣). النبي يونان هو المعروف بسفره ولا نعرف عنه شيئاً غير ما جاء هنا وفي سفر يونان. الرب صنع هذا الخلاص لأنه رأى ضيق إسرائيل؛ إسرائيل عانى من الظلم وليس من معين له، لا بين الأحرار ولا بين العبيد، فصرخ للرب، والرب أرسل يونان بن أمتاي ينبئهم بالخلاص، وصنع الرب الخلاص بيد الملك يربعام بن يوشاب (ع. ٢٦-٢٧). المشهد المصور في هذه الأعداد يشبه مناخ سفر القضاة: إسرائيل يُخطئ، يدفع الرب عليه أعداءه فيضايقونه، يصرخ إسرائيل إلى الرب، فيرسل لهم مخلصاً. هذا هو فحوى اللاهوت التثنوي - الاشتراعي. هناك أخبار أخرى عن يوشاب مر عليها الكاتب باقتضاب شديد: استرجع الملك لإسرائيل من يهوذا مناطق كانت تتبع لآرام دمشق وآرام حماة. وهذه مكتوبة في السفر أخبار الأيام لمولك إسرائيل الذي نجهله (ع. ٢٨). مات يربعام الثاني وملك ابنه زكريا عوضاً عنه.

**١٥: ١-٧ ملك عزريا في يهوذا** هو الملك العاشر في يهوذا (عزريا بن أمصيا بن يوشاب- عثليا- أخزيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أيبيا بن رحبعام). ورد اسمه بشكل آخر: عزيا. بدأ ملك عزريا في يهوذا في السنة السابعة والعشرين ليربعام الثاني ملك إسرائيل، أي ٧٦٣ ق. م. ودام ملكه اثنتين وخمسين سنة، أي حتى ٧١٢ ق. م. اسم أمه يكلية، من أورشليم (ع. ١-٢). عمل ما هو مستقيم في عيني الرب؛ لكنه لم يزل المعابد الوثنية (ع. ٤). «ضربه الرب بالبرص»- لكن الكاتب الملمهم يعدو السبب إلى محاولته أن يمارس دور الكهنة بدخوله إلى القدس في الهيكل (٢ أخ ٢٦: ١٦-٢١)، ويُعتبر هذا مرفوضاً في الشريعة (انظر ١ صم ١٣: ٩-١٦). وبسبب البرص، عُزل عن الناس كما تقرر في الشريعة (انظر لا ١٣: ٤٦)، فكان ابنه يوثام يمارس الملك مكانه (ع. ٥). بقية أمور

السابعة عشرة لفقح ملك إسرائيل، أي ٧٢٦ ق. م. كان ابن عشرين سنة حين ملك، ودام ملكه ست عشرة سنة أي حتى ٧١٢ ق. م. (ع. ١-٢). يجب أن يكون عايش سبي السامرة ٧٢٢-٧٢١ ق. م.، وعلى الرغم من ذلك، لم يتعظ، بل عمل الشر في عيني الرب: مارس الوثنية والذبايح البشرية (ع. ٢-٤). في أيامه، هاجم يهوذا تحالف من رصين ملك آرام وفقح ملك إسرائيل ولم يقدروا أن يغلبوه. كان الهجوم، على ما يبدو، استغلالاً لضعف مملكة يهوذا في عصر القوة الآشورية في المنطقة، ومحاولة تغيير الحدود. صار نسل داود مهدداً على ما يبدو. هذا ما نراه في سفر إشعيا الذي كتب عن هذه الحروب الآرامية (إش ٧-٩؛ انظر خاصة ٧: ١-٩) وعلى الرغم من فشل الهجوم إلا أن رصين استطاع استرجاع إيلة (إيلات اليوم، على البحر الأحمر) من يد يهوذا وطرده اليهوداويين منها (ع. ٥-٦). يبدو أن التحركات الآشورية في المنطقة بدأت تتكشف. ورد اسم رصين (دمشق) وفقح (السامرة) في الحوليات الآشورية. عرف آحاز بأنه لن يصمد طويلاً ضد تهديد الآراميين، فأرسل كمية كبيرة من الفضة والذهب، التي أخذها من بيت الرب وبيت الملك، وأرسلها هدية إلى تغلث فلاسر، ملك آشور، طالباً منه أن يخلصه من تهديد أعدائه، فاستجاب تغلث فلاسر لندائه وهاجم، ٧٣٢ ق. م. دمشق واحتلها وسبى أهلها إلى قير (أرض الأموريين را. عا ٩: ٧؛ إش ٢٢: ٦) وقتل ملكها رصين، وضمت آرام إلى أراضي الإمبراطورية الآشورية الصاعدة (ع. ٧-٩). وصعد آحاز للقاء تغلث فلاسر في دمشق، فشاهد المذبح هناك، وأرسل وصفاً عنه إلى أوريا الكاهن في يهوذا طالباً منه أن يصنع نظيره، واستجاب أوريا للأمر الملكي. ولما عاد الملك إلى أورشليم، قدم ذبائح على هذا المذبح. نقل مذبح النحاس الأصلي في الهيكل من مكانه، ليصبح «مذبح دمشق» هو المذبح الرئيس، وتزامن معه أوريا الكاهن. وأعطى الملك والكاهن أمرهما للشعب بتقديم ذبائحهم على هذا المذبح، والتزم الملك نفسه بالأمر. أما مذبح النحاس الأصلي فوضعه في التصرف (ع. ١٠-١٥). وانصاع أوريا الكاهن نفسه لأوامر الملك (ع. ١٦) وأجرى تغييرات في الهيكل كان ملك آشور قد طلبها منه؛ يبدو أنه نزع قواعد النحاس ووضع مكانها قواعد حجرية (ع. ١٧-١٨). بقية أموره مكتوبة في سفر الأخبار لملوك يهوذا (ع. ١٩). مات آحاز ودفن كالمولود مع آبائه وملك حزقيا ابنه مكانه (ع. ٢٠). يبدو أن هم آحاز الملك وأوريا الكاهن الأول كان المحافظة على المركز والسلطة والمكاسب المادية. عملاً تغييرات جذرية في الهيكل بإيحاء من ملك آشور لكي يبقى لهما السلطة والمكاسب. خانا عهد الله لقاء سلطة أرضية؛ وهذا شر كبير. لكن من رضا لأمره، هو نفسه سينزع عنهما المال والسلطة.

١٥: ٢٣-٢٦ ملك فقحيا في إسرائيل. هو الملك السابع عشر في إسرائيل (فقحيا بن-منحيم-شلوم-زكريا بن-يربعام الثاني بن-يواش بن-يواحاز بن-ياهو-يورام بن-أخزيا بن-أخاب بن-عمري-زمري-أيلة-بعشا-ناداب بن-يربعام). ملك في السنة الخمسين لملك عزريا (عزياً) في يهوذا، أي ٧٤٢ ق. م. ودام ملكه سنتين، أي حتى ٧٤١ ق. م. (ع. ٢٣) عمل الشر في عيني الرب (ع. ٢٤). اغتاله وزيره فقح بن رمليا وقتل معه عدداً كبيراً من حراسه ثم ملك مكانه (ع. ٢٥). بقية أموره في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل (ع. ٢٦).

١٥: ٢٧-٣١ ملك فقح في إسرائيل هو الملك الثامن عشر في إسرائيل (فقح-فقحيا بن-منحيم-شلوم-زكريا بن-يربعام الثاني بن-يواش بن-يواحاز بن-ياهو-يورام بن-أخزيا بن-أخاب بن-عمري-زمري-أيلة-بعشا-ناداب بن-يربعام). بدأ ملكه في السنة الثانية والخمسين لملك عزريا (عزيا) في يهوذا، أي ٧٤١ ق. م. دام ملكه عشرين سنة، أي حتى ٧٢٣ ق. م. (ع. ٢٧). عمل الشر في عيني الرب (ع. ٢٨). في أيامه جاء تغلث فلاسر، ملك آشور واحتل عيون وأبل ومعكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي وسباهم إلى آشور (ع. ٢٩). هذه مناطق في شرقي، وشمال شرقي الأردن (باشان). هذه حملة قام بها الآشوريون ٧٣٤ ق. م. بدأت حملات الآشوريين تشد تمهيداً لاحتلال السامرة ونفي أهلها. اغتاله هوشع بن أيلة وملك عوضاً عنه (ع. ٣٠). بقية أموره في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل (ع. ٣١).

١٥: ٣٢-٣٨ ملك يوثام في يهوذا هو الملك الحادي عشر في يهوذا (يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يواش-عثليا-أخزيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام). بدأ ملكه في السنة الثانية لفقح ملك إسرائيل، أي ٧٤٠ ق. م. كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، ودام ملكه ست عشرة سنة أي حتى ٧٢٦ ق. م. اسم أمه يروشا ابنة صادوق (الكاهن) (ع. ٣٢-٣٣). عمل ما هو مستقيم في عيني الرب، لكن لم يُزل المعابد الوثنية من البلاد. عمل باباً إضافياً لبيت الرب (الباب الأعلى) (ع. ٣٤-٣٥). بقية أموره مكتوبة في سفر الأخبار لملوك يهوذا (ع. ٣٦). في أيامه صعد رصين ملك آرام وفقح ملك إسرائيل (ع. ٣٧). يرد اسما هذين الملكين في حوليات تغلث فلاسر. يبدو أن الملك الآشوري استعان بهذين الملكين المحليين ليضغط على يهوذا ويضعها تحت الجزية. مات يوثام وملك آحاز ابنه (ع. ٣٨).

١٦: ١-٢٠ ملك آحاز في يهوذا هو الملك الثاني عشر في يهوذا (آحاز بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يواش-عثليا-أخزيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام). بدأ ملكه في السنة



## ١٧: ١-٤١ سادساً: إسرائيل إلى السبي بيد الآشوريين

نعايش، في هذا القسم نهايات إسرائيل، المملكة الشمالية. تأسست على الوثنية، وكانت النتيجة خراباً عظيماً. نستطيع تقسيم هذا الجزء كالتالي: ملك هوشع في إسرائيل والسبي (١٧: ١-٦)؛ خطايا إسرائيل (١٧: ٧-٢٣)؛ وضع السامرة بعد السبي (١٧: ٢٤-٤١). ١٧: ١-٦ ملك هوشع في إسرائيل والسبي الآشوري هو الملك التاسع عشر في إسرائيل (هوشع-فح-فحقيا بن-منحيم-شلوم-زكريا بن-يربعام الثاني بن-يواش بن-يواحاز بن-ياهو-يورام بن-أخزيا بن-أخاب بن-عمري-زمرى-أيلة-بعشا-ناداب بن-يربعام). بدأ ملكه في السنة الثانية عشرة لملك آحاز في يهوذا، أي ٧٢٣ ق. م. دام ملكه تسع سنين، أي حتى ٧١٦ ق. م. (ع. ١). هذه التواريخ لملك هوشع تحتمل الخطأ البسيط، وتواريخ أفضل هي ٧٣٠-٧٢٢ ق. م. (ينتهي ملك هوشع باحتلال السامرة ٧٢٢-٧٢١ ق. م.). لكن كنا ملزمين بوضع التواريخ أعلاه لهوشع، مع علمنا باحتمال الخطأ، لأننا تتبعنا سنوات الملك المذكورة في سفر الملوك. بعض الملوك ملكوا دون شك قبل وفات الملك السابق، لكن كيف لنا أن نعرف؟ وهناك العشرات من لوائح التواريخ المقترحة في الكتب. عمل هوشع الشر في عيني الرب بقدر أقل ممن سبقوه على عرش إسرائيل (ع. ٢). وعلى الرغم من ذلك، ففي عهده هاجم الآشوريون - بقيادة ملكهم شلمنأسر (٧٢٦-٧٢٢ ق. م.) - إسرائيل وأخضعوها للجزية. وبعد فترة، حاول هوشع أن يتخلص من هذا النير، فتوقف عن دفع الجزية عند استحقاقها وأرسل يطلب نجدة سوا ملك مصر، بينما كان شلمنأسر مشغولاً باحتلال صور الفينيقية، لكن ملك آشور حسبها خيانة عظيمة، فألقى القبض على هوشع ووضعه في السجن. في السنة التاسعة لملك هوشع (٧٢٢ ق. م.؟)، احتل الآشوريون السامرة، وسبوا سكانها إلى آشور، وأسكنوهم في حلب وخابور ونهر جوزان وفي مدن مادي، أي في المنطقة الشرقية من العراق وجزء من إيران اليوم (ع. ٣-٦). هذه هي المرحلة الثانية والأخيرة من السبي الآشوري، وكانت المرحلة الأولى قد ذكرت في ١٥: ٢٩. هكذا وبكل اقتضاب تكلم الكاتب عن سقوط السامرة وسبي أهلها ونهاية مملكة إسرائيل. في النص هنا شلمنأسر (الخامس) ملك آشور هو من احتل السامرة، لكن نصوصاً أخرى، مدعومة بكتابات آشورية، تجعله الملك سرجون (الثاني) (٧٢٢-٧٠٥ ق. م. انظر إيش ٢٠: ١). دراسة التاريخ الآشوري تعلمنا أن شلمنأسر هو من هاجم السامرة وأسقطها، لكن أخاه سرجون هو من قام بسبي أهلها. وقد ورد ذكر للسبي الآشوري في كتابات آشورية تعود إلى عهد سرجون. انتهت مملكة إسرائيل ولن تعود. ستصبح مقاطعة السامرة، وستكون على عدا مع اليهود بعد العودة من السبي ٥٣٨ ق. م.

١٧: ٧-٢٣ خطايا إسرائيل بعد خبر سقوط السامرة، يقدم الكاتب تقريراً عن خطايا إسرائيل التي سببت هذه النكبة الكبيرة. هدف التقرير هو تبرير الله ووضع اللوم على الشعب، فهو المسؤول عما جرى له. يعدد التقرير خطايا إسرائيل منذ أخرجهم الرب من أرض مصر وحررهم من استعباد فرعونها إياهم، وخطية الخطايا هي «اتقوا آلهة أخرى وسلخوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل» (ع. ٧-٨). وكان شعب إسرائيل يمارسون عباداتهم الوثنية أحياناً، «سراً» - والنص العبري هنا يحتمل معنى آخر: يقولون كلمات بذينة على الرب سرّاً - في المعابد الوثنية التي بنوها في مدنهم الصغيرة (برج النواطير: عززال لحراسة الكروم والحقول) والكبيرة (ع. ٩). بعض أشكال العبادة الوثنية كانت تتطلب «لعن» الإله الآخر، فهل هذا يعني أن شعب إسرائيل كانوا «يلعنون» الرب في معابد الوثنيين؟ عبد الشعب الآلهة التي نهاهم عنها الرب، فقط لإغاضته (ع. ١٠-١٢). وأرسل الرب أنبياء («وكل راء»، اسم آخر للأنبياء)، إلى إسرائيل وإلى يهوذا، لكي يحذروا الشعب من مغبة الانجراف وراء الوثنية وترك الرب إلههم، ويدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الله (ع. ١٣). لكن لم يسمعوا بل «صلبوا أقييتهم» (تعبير اصطلاحي يعني تصلفوا) كما فعل آبائهم، وهذه علامة عدم الإيمان بالرب (ع. ١٤). تركوا وصايا الرب ولم يسمعوا للأنبياء وانحدروا إلى أباطيل الأمم الوثنية و«عملوا لأنفسهم مسبوكات عجلى» - إشارة إلى عجلى الذهب في معبد بيت إيل ودان الذين عملهما يربعام (انظر ١ مل ١٢: ٢٨؛ ر. خ. ٣٢: ٨) - وضعوا سوارى (جذوع خشب تمثل عضو الخصب) في أبواب المعابد، ومارسوا عبادة الكواكب، وعبدوا الإله الكنعاني بلع الذي أدخلته إيزابل الصيدونية زوجة أخاب ملك إسرائيل. ومارسوا الذبائح البشرية «عبروا بنيهم وبناتهم بالنار»، ومارسوا السحر والعرافة «وباعوا أنفسهم لعمل الشر لإغاضة الرب» (ع. ١٥-١٧). كان الساكنون في الشمال (إسرائيل) منغمسين في الوثنية أكثر من سكان الجنوب (يهوذا)، ف«نحى» الله إسرائيل عن يهوذا؛ هذا كلام عن انشقاق المملكة الموحدة (انظر ١ مل ١١: ١٣ و ٣٢). يقول الكاتب إنه لم يبق إلا سبط واحد، يهوذا (ع. ١٩). أولاً، رأينا أن إسرائيل كانت عشرة أسباط ويهوذا سبطين: يهوذا وبنامين؛ لكن في تقارير كثيرة كان يُذكر يهوذا فقط لأنه هو البارز. ثانياً، يبدو أن الكاتب يقول ضمناً أن إسرائيل لم يعد من «شعب الرب»، قد يكون هذا تأثير الخصومة التي قامت بعد السبي بين اليهود والسامريين لعدم اعتراف اليهود بأن السامريين هم من شعب الله. ويطال تقرير الكاتب يهوذا عَرَضاً بأنهم هم أيضاً تأثروا بإسرائيل ووثنتيتها (ع. ١٩). لأجل هذه الأسباب وغيرها، «رذل» الرب كل نسل إسرائيل - أي إسرائيل ويهوذا - ودفعهم ليد ناهبين... (ع. ٢٠) كلام عن

بعد إلى رفض سكان السامرة على أنهم من بني إسرائيل (انظر عز ٤: ١-٢٤؛ لو ٩: ٥١-٥٦؛ ١٠: ٢٩-٣٧؛ يو ٤: ٩). كانوا يتقون الرب على مستوى الطقوس، كما في العدد السابق، لكنهم «لا يتقونه» على مستوى الأخلاق والامتناع عن عبادة الأوثان. وأيضاً لم يمارسوا دياناتهم القومية بدقة، ولا كان السكان من بني إسرائيل يتقون الرب إلههم، وهو الذي دعا أبيهم يعقوب وأعطاه اسم «إسرائيل» (انظر تك ٣٢: ٢٨؛ ٣٥: ١٠) (ع. ٣٤). وكلم الرب سكان الأرض من بني إسرائيل يدعوهم إلى قطع عهد معه أن يتقوه وحده فقط، فهو من أخرجهم من أرض مصر (تذكير بالعهد السيناوي)، وأن يمتنعوا عن ممارسة عبادة الأوثان، وألاً ينسوا عهده، وحينئذ ينفذهم الرب من أيدي جميع أعدائهم (ع. ٣٥-٣٩). ويقول الكاتب الملهم بأن بني إسرائيل لم يستجيبوا لدعوة الرب حسب عاداتهم الأولى، والأمم الأخرى يتقون الرب (شكلياً) ويعبدون آلهتهم. وتعودت الأجيال المتعاقبة في السامرة على هذا النمط حتى اليوم، تاريخ كتابة النص (ع. ٤٠-٤١).

**١٨: ٢٥-٣٠ سابقاً: يهوذا تتأرجح بين الإصلاح والانحدار**

### وصولاً للسبي البابلي

القسم الأخير من سفر الملوك مخصص للكلام عن نهايات مملكة يهوذا بعد سبي السامرة ونهاية مملكة إسرائيل. سنشهد محاولات إصلاحية جدية، لكن الوضع صعب، فالمنطقة تعصف بها الحروب؛ ثلاث قوى كبرى تتطاحن على قيادة المنطقة: آشور، بابل، ومصر، وستتغلب بابل التي ستقوم على أنقاض الإمبراطورية الآشورية، وستتغلب على مصر، وستتبوأ عرش السيادة على المنطقة. أما يهوذا، مسارها مسار الدول الصغيرة، ستكون تابعة، وتنتقل من حلق إلى آخر حتى تنتهي.

نقسم هذا القسم الأخير على الشكل التالي: ملك حزقيا في يهوذا (١٨: ١-٢١)؛ ملك منسى في يهوذا (٢١: ٢٠-٢١)؛ ملك يوشيا في يهوذا (٢٢: ١-٢٣)؛ ملك يهوآحاز في يهوذا (٢٣: ٣١-٣٣)؛ ملك إلياقيم/يهوياقيم في يهوذا (٢٣: ٣٤-٢٤: ٧)؛ ملك يهوياكين في يهوذا (٢٤: ٨-١٧)؛ ملك صدقيا في يهوذا وسبي بابل (٢٤: ١٨-٢٥: ٣٠).

**١٨: ٢٠-٢١ ملك حزقيا في يهوذا بداية ملك حزقيا في**

يهوذا وإنجازاته الأولى (١٨: ١-٨)؛ السبي الآشوري في عهد حزقيا (١٨: ٩-١٢)؛ سنحاريب ملك آشور يهاجم يهوذا (١٨: ١٣-١٦)؛ حزقيا يستعين بمصر، وملك آشور يحاصر أورشليم (١٨: ١٧-٣٧)؛ حزقيا يرفع الأمر إلى النبي إشعياء (١٩: ١-٧)؛ ملك آشور يرسل رسالة تهديد، وحزقيا يرفعها أمام الرب (١٩: ٨-١٩)؛ الرب يرد على حزقيا بواسطة إشعياء ويخلص يهوذا (١٩: ٢٠-٣٦)؛ مرض حزقيا وصلاته وشفافه (٢٠: ١-١١)؛ ملك بابل

سبي السامرة وسبي أورشليم. في الأعداد المتبقية، يعود الكاتب إلى الكلام عن إسرائيل وحده، فيقول إن الرب هو من شق إسرائيل عن بيت داود (يهوذا) (انظر ١ مل ١١: ٣١)، فملك شعب الشمال (إسرائيل) يربعم بن ناباط، فأبعدهم من وراء الرب وجعل إسرائيل يخطئ خطية عظيمة، وتجاوب معه بنو إسرائيل، حتى «نحى» الرب إسرائيل من أمامه، ومن أرضه، وأرسلهم إلى آشور «إلى هذا اليوم» (ع. ٢١-٢٣). كتابة متأخرة. إسرائيل أخطأ، عمل شرًا، وحصد شرًا، لكن تفسير الكاتب اللاهوتي هو أن الله هو العامل في العقاب.

**١٧: ٢٤-٤١ وضع السامرة بعد السبي سبي ملك آشور معظم سكان إسرائيل - خاصة الكهنة والمتعلمين والحرفيين والأغنياء - وأسكنهم في مدن آشورية، ثم أتى أناس سباهم من بلدان أخرى: بابل، وكوث (تل إبراهيم شمالي بابل وشرق الفرات)، وعوا (تل كفريا على العاصي جنوب غرب حمص ١٨: ٣٤؛ ١٩: ١٣)، وحماة، وسفراويم (في منطقة حماة حز ٤٧: ١٦)، وأسكنهم في مدن السامرة (إسرائيل) (ع. ٢٤). بهذه الطريقة كان الآشوريون يستفيدون من الكفاءات الإسرائيلية في مدنها، ويضعفون البلدان التي يحتلونها. فالشعب الخليط شعب ضعيف، لا يتقون على رأي، وتكثر بينهم الخلافات، والغريب دائماً ضعيف على أرض غريبة. المشكلة الرئيسة التي واجهت هذا الخليط من الأمم في السامرة هي انتشار الحيوانات المفترسة (السباع) في الأرض (السامرة، أي إسرائيل) وفنكها بعدد كبير من السكان. ويعزو الكاتب السبب إلى أن السكان الجدد لم يتقوا الرب (يهوه)، إله الأرض، «فأرسل الرب إليهم السباع...» (ع. ٢٥). طبعاً فكر لاهوتي قديم، كان يؤخذ به في زمن الكتابة، وهو أن كل إله كان «يملك» في أرضه ويحافظ عليها عندما يتقيه سكان الأرض. أما عندما لا يتقونه، فيلحق بهم المخاطر. وسأل سكان السامرة ملك آشور أن يرسل لهم كاهناً يعرف «قضاء إله الأرض»، حتى يعلمهم كيف يتقونه، ويقوم لهم بالطقوس المتوجبة ليرد عنهم خطر الوحوش الضارية. فأمر ملك آشور بإرسال أحد الكهنة المسيبين من بني إسرائيل، وهكذا صار، فأتى أحد الكهنة وسكن في بيت إيل «وعلمهم كيف يتقون الرب» (ع. ٢٦-٢٨). وصار أن «كل أمة تعمل آلهتها» (أهل بابل عملوا «سكوث بنوث» = مظال اللبنات، بغايا المعبد؛ وأهل كوث عملوا «نرجل» إله النار؛ أهل حماة عملوا أشيما، الإثم، التسمية تحمل التهكم؛ العويون عملوا «نجز» و«ترتاق»، والسفروايميون عملوا «أدر ملك» و«عنملك») وتضعها في معابد السامرة - لا نعرف شيئاً تقريباً عن الآلهة المذكورة - وجندوا كهنة لهم من فقراء الشعب، ومارس بعضهم الذبائح البشرية، و«كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم» (ع. ٢٩-٣٣). ياله من خليط ديني رهيب، هذا ما سيدفع اليهود فيما**

يوقع حزقيا في فخ خيانة الرب (٢٠: ١٢-١٩)؛ موت حزقيا (٢٠: ٢١-٢٠).

### ١٨: ١-٨ بداية ملك حزقيا في يهوذا وإنجازاته الأولى حزقيا

هو الملك الثالث عشر في مملكة يهوذا (حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عزريال بن أمصيا بن يوشافاط - عثليا - أخزيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام). بدأ ملكه في السنة الثالثة لهوشع ملك إسرائيل، أي ٧٢٨ ق. م. وكان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك. ودام ملكه مدة تسع وعشرين سنة، أي حتى ٧٠١ ق. م. اسم أمه «أبيّة ابنة زكريا (ع. ١-٢)». في زمنه حدث السبي الآشوري، ولا بد أن يكون قد أخذ دروساً من هذه النكبة. وبالفعل، يقول الكاتب الملهم بأنه عمل المستقيم في عيني الرب؛ فأزال المعابد الوثنية على التلال، وسحق حية النحاس التي كان يُعتقد أنها من زمن موسى (انظر عد ٢١: ٩)؛ هذا هو التقليد الذي ألصق بتمثال الحية نحشتان الذي كان قد وُضع في الهيكل منذ زمن مجهول. وبحسب الكاتب، كان حزقيا أفضل من كل ملوك يهوذا. وكان مُخلصاً لعهد الرب، وكان الرب معه، بحسب اللاهوت الاشتراعي (ع. ٣-٦). ومن نجاحاته أنه رفض الانصياع لملك آشور ولآلهته، وضرب الفلسطينيين في غزة وتخومها، القرى الصغيرة والمدن المحصنة (ع. ٧-٨).

### ١٨: ٩-١٢ السبي الآشوري في عهد حزقيا يضع الكاتب هنا

تقريراً آخر عن السبي الآشوري، ربما لأنه أراد في سياق الكلام عن حزقيا. في سنة ملكه الرابعة (٧٢٥ ق. م.)، هاجم شلمنأسر، ملك آشور السامرة، واحتلها بعد حصار دام ثلاث سنين (٧٢٢ ق. م.). وسبى ملك آشور سكان السامرة وإسرائيل إلى آشور ووضعهم في مدن حلح وجوزان على نهر خابور (جنوب بلاد الرافدين)، وهي اليوم في العراق، وفي مدن مادي (الشرق)، وهي اليوم في إيران (ع. ٩-١١). والسبب: «لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلههم» (ع. ١٢).

### ١٨: ١٣-١٦ سنحاريب ملك آشور يهاجم يهوذا في السنة

الرابعة عشرة لملك حزقيا (٧١٤ ق. م.)، هاجم سنحاريب، ملك آشور، يهوذا واحتل مدنها الحصينة (ع. ١٣). ربما بسبب عصيانه وتخلفه عن دفع الجزية مستقوياً بمصر (ع. ٧). لكن حزقيا نل وأرسل يستعطف ملك آشور المرابط في لخيّش (تل الدوير بين حبرون وأشقولون جنوب غرب أورشليم) معترفاً له بخطئه وطلباً منه أن يتراجع عن مدن يهوذا، وهو جاهز ليفعل له ما يشاء. اشترط سنحاريب على حزقيا دفع مبلغ كبير من الفضة والذهب، واستجاب حزقيا لطلبه فأخذ كل الذهب والفضة المخزونة في بيت الرب وبيت الملك - حتى إنه قشر الذهب عن أبواب الهيكل - وأرسلها لملك آشور (ع. ١٤-١٦). سيتراجع سنحاريب، لكن فقط إلى حين. ورد اسم حزقيا وذكر حصار أورشليم في الحوليات الآشورية.

١٨: ١٧-٣٧ حزقيا يستعين بمصر وملك آشور يحاصر أورشليم. يبدو أن حزقيا وقع في المحذور، فتحالف مع مصر ضد آشور وتخلّف عن دفع الجزية له (ع. ٢٠-٢١). فأرسل ملك آشور قواده، على رأس جيش كبير، من لخيّش حيث قاعدته الحربية: قائد الجيش (ترتان) ورئيس الأركان (رب-ساريس)، وكبير المستشارين (رب-شاقى)، إلى أورشليم رصدوا عند البركة العليا (ع. ١٧). وأرسلوا وراء الملك، فخرج إليهم كبار معاونيه. فكلّمهم رئيس المستشارين (رب-شاقى) ناقلاً إليهم رسالة ملك آشور الذي يحظر حزقيا من شر فعله باتصاله بمصر وتوقفه عن دفع الجزية، ويصف ملك مصر بأنه «عكاز» كقصبه مرضوضة (صورة الوهن والضعف) تدخل في كف من يتوكأ عليها (١٨-٢١). ويحذره أيضاً من «إيهام» نفسه بالاتكال على الرب، ويذكر حزقيا بأنه أساء إلى هذا الرب المتكل عليه بتهديم معابد المرتفعات، والإبقاء على الهيكل وحده، وإلزام الناس أن يعبدوا فيه فقط (ع. ٢٢). نفهم أن معابد المرتفعات كان بعضها على الأقل ليهوه، وحزقيا هدمها من أجل مركزية العبادة في هيكل واحد. وسيأتي بعده الملك يوشيا يتم هذه المهمة. ثم يعرض ملك آشور على حزقيا، تهكماً، بأن يقدم له ألفي فرس إذا كان يقدر أن يجد لها فرساناً ويسأله، تهكماً أيضاً، كيف إذا يقدر أن يرفض ولو أصغر مسؤولي الملك ويذهب إلى مصر طالباً منها مركبات وفرساناً (ع. ٢٣-٢٤). ويضيف ملك آشور، بلسان كبير مستشاريه (رب-شاقى)، بأنه لم يصعد ليخرب أرض يهوذا إلا بتكليف من الرب (ع. ٢٥). يبدو أن ملك آشور علم باتصالات سرية أجراها حزقيا مع ملك مصر لمؤازرته بمرتقة وبمركبات ليقاوم إرادة ملك آشور. فأرسل له هذا الأخير رسالة تهديد فيها الكثير من التهكم والشك بقدرة حزقيا على هذا الأمر. وتروي الحوليات الآشورية بأن الآشوريين هزموا المصريين وأسروا قواد مركبة الفرعون. ورد معاونو الملك حزقيا على رُسل ملك آشور بالطلب إليهم أن يتكلموا باللغة الآرامية لأنهم يفهمونها وألا يكلموهم باللغة العبرية (عبرية ما قبل السبي) لئلا يفهم الشعب المرباط على السور (ع. ٢٦). كانت الآرامية لغة سكان بلاد الرافدين وستصبح فيما بعد اللغة الأكثر استخداماً في المنطقة. يستخدم الآشوريون هذا الأسلوب النفسي في حربهم، وهو تهبيط عزيمة الشعب ليكفوا عن مقاومته ويشكلوا قوة ضاغطة ضد الملك لكي يسلم بالأمر الواقع، وسيتمادون في هذا الأسلوب. فرد رسول ملك آشور بأنه بالحقيقة يتكلم إلى الشعب الذي سيأكل فضلاته ويشرب بوله مع الملك ومساعديه (ع. ٢٧)، بسبب الضيق الآتي، إذا أصريتم على المقاومة. ورفع رب - شاقى، كبير مستشاري ملك آشور مستوى تهديده، فصار يوجه كلامه للشعب مباشرة وبعبيرية ما قبل السبي، وبصوت مرتفع، ويقول لهم بأنه

## البقية والأقليات

لم يعد موضوع الأقليات الآن بعيداً عن الضمير الإنساني، ولأن كثيراً من البشر يتساءلون، وربما يخافون من الواقع الذي يجعلهم أقلية غير مؤثرة أو فاعلة، ومن هنا ارتبط مفهوم الأقلية بحقوق الإنسان والمساواة، وحيث أن قضية الأقليات قضية قديمة حديثة في الوسط الديني، لذا لزم علينا العودة إلى تاريخ الكتاب المقدس، في محاولة لفهم قضية البقية التي شكلت بعداً دينياً وسياسياً في العهد القديم، كما أنها كانت نواة الكنيسة الجديدة.

### مفهوم كلمة البقية في العهد القديم

نجد مرادفات ككلمة سلالة وسائر بالمعنى العادي (تك ٤٥: ٧). ولكن المعنى العميق للبقية لا نجده إلا بعد أن تعرّض الشعب لخبرة الانكسار الكبير أمام آشور وبابل وعاش خبرة السبي. ومن هنا نشأ مفهوم البقية الناجية والمختارة فيما بعد. والبقية الناجية هي: البقية التي نجت من كارثة ونجاتها هي على الصعيد الجسدي والزمني. وهي القبائل الضعيفة أمام قوة السلطة التي تجتاحها وهي بدون حماية. ومن هنا نشوء الالتجاء إلى قوة إلهية تدافع عنها فتحافظ على المجموعة وتعطيها فرصة البقاء والاستمرار في العدد والقوة والغنى. والبقية المختارة هي: البقية المختارة بالنعمة، أي النخبة الدينية في واقع الشعب السوسولوجي. وهي الفئة الحية في نظر الله والوحيدة التي تمثل الكل وتحمل مستقبل إسرائيل الديني. وهذه البقية المختارة تعيش إلى جانب الآخرين من بني إسرائيل (المحيط الجامع، البقية).

### مفهوم كلمة البقية في العهد الجديد

ولكن المعنى العميق للكلمة تجسّد وتوضّح في وجه الرب يسوع، فيسوع قد جسد حقيقة البقية فقد عاشها وحققها في شخص إذ أخلّى ذاته واتخذ صورة عبد (في ٢: ٧-٩)، كما أن يسوع جاء من البقية المنتظرة أخذ المكان الأخير واختار أن يولد من الفقراء وكالفقراء (يو ٢: ١-٢٠) وبيشّر الفقراء (لو ٤: ١٨). وعاش بين تلاميذه كالخادم (يو ١٣) وقبّل أن يُعامل كصّ (لو ٢٢: ٣٧) ويموت على الصليب (مر ١٤: ٢٤). وحقق في شخصه كل ما قاله الأنبياء عن العبد (إر ١: ٥) وصار بكرًا لإخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩؛ ١ كو ١٥: ٢٠). وفي تعليمه: طرح يسوع في تعليمه نوعيّة تجعل كل الناس من أهل بيت الله، قال إنّنا أبناء والأبناء يقيمون في البيت لا الأجراء (يو ٨: ٣١-٣٥). وفي منطق العهد الجديد مفهوم البقية ليس عددياً ولا الفضلة بل نوعيّة وجود وحضور. فالبقية هم الذين يقبلون (يو ١: ١٢-١٣). والبقية تتخطى كونها من أبناء إبراهيم (مت ٣: ٩)،

يحمل إليهم كلام ملك آشور القائل لهم بأن يحذروا خداع حزقيا بوعوده لهم بأنه يدافع عنكم، فلن يستطيع، وأن لا يصدقوا حزقيا الذي دعاهم للالتكال على الرب وهو الذي سينقذهم من يد ملك آشور، ويطلب منهم ألا يسمعو لحزقيا بل يطيعوا ملك آشور الذي يدعوهم لعقد صلح والعيش بسلام ريثما يأتي رجاله ليأخذوهم إلى أرض «اللين والعسل» (بلاد الرافدين)، وأن لا ينغروا بكلام حزقيا الذي يقول لهم بأن الرب ينقذهم (ع. ٢٨-٣٢). ثم يسألهم إذا كانت آلهة الأمم التي احتلتها - حماة، وإرفاد (إرواد) وسفراويم (في منطقة حماة حز ٤٧: ١٦) وهينع (٩) وعوا (تل كفريا على العاصي جنوب غرب حمص؛ ١٧: ٢٤؛ ١٩: ١٣) - أن تحافظ على شعوبها حتى يقدر الرب أن يحافظ عليكم. فالآلهة ما استطاعت أن تمنع الآشوريين من احتلالها، ولن يستطيع الرب (يهوه) أن يمنعهم من احتلال يهوذا (ع. ٣٣-٣٥). وأصدر حزقيا أمراً بأن لا يرد أحد على كلام ربشاقى، فسكت الجميع (ع. ٣٦). ورجع معاونو حزقيا إلى الملك، ومزقوا ثيابهم حزناً وخوفاً، وأخبروا الملك بما حصل.

١٩: ١-٧ حزقيا يرفع الأمر إلى النبي إشعيا ولما سمع حزقيا هذا التهديد والوعيد، ارتدى المسوح، علامة التواضع والذل والحزن، ودخل بيت الرب لكي يرفع الأمر إلى الرب. ثم طلب من معاونيه أن يرتدوا أيضاً المسوح ويذهبوا إلى النبي إشعيا بن آموص (انظر إش ٣٧)، فذهبوا وأخبروه بما حصل، ونقلوا له رسالة من حزقيا يشرح فيها مستوى الضيق الذي وصلوا إليه ولا مناص، ويبيدي فيها قلقه على مستقبل يهوذا (ع. ١-٣)، ويطلب إليه أن يرفع صلاة إلى الرب لأجل «البقية» ربما يكون الرب قد سمع كلام كبير مستشاري ملك آشور (رب-شاقى) الذي به عير الإله الحي ويقوم لتوبيخه وعقابه على هذا الكلام. (ع. ٤). «البقية» كلمة اصطلاحية في الخطاب النبوي في العهد القديم، وهي تعني البقية النقية والأمانة للعهد والتي تمثل كل إسرائيل أمام الرب، ولخلاصها قد يعفو الرب عن كل الشعب. ذهب الرسل إلى إشعيا وأطلعوه على الوضع، وأخبروه برسالة الملك حزقيا، فرد عليهم بكلام مطمئن، ونقل إليهم كلام الرب إلى الملك حزقيا ويطلب فيه منه ألا يخف من تهديد ملك آشور وكلام رسله الذين جدفوا به على الرب، فالرب سمعه، ووعد الرب بأن يجعل ملك آشور يسمع خبراً ويعود إلى أرضه حيث يميته (ع. ٥-٧). يتكلم إشعيا عن الأحداث التي وضعها كاتب السفر في ع. ٢٥-٣٧: وهو يقرأ التاريخ بعيون لاهوتية، وبفكر إيماني: الله هو موجّه الأحداث. ويعرف المؤمن النقي أن «كل الأشياء تعمل معاً للخير» (رو ٨: ٢٨) إذا وضعنا الرب في الحدث معنا.

- أما من بين الأقباط أنفسهم، فيظهر سمير مرقس الذي يرفض فكرة أو مفهوم الأقلية، ويؤكد أن الأقباط في مصر لا يشكلون جماعة أقلية. كما لا يوجد أي أهداف سياسية استقلالية، وهم ليسوا جماعة منغلقة. ويشدد مرقس على أن المسيحيين تغلبوا على صورة «الذمي» وهم جزء من المجتمع المصري، لذا فهم مواطنون مصريون لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات كأى مواطن مصري (مرقس، ٢٠٠٠، ١٦٥). وعلى نفس المنوال يرى مصطفى الفقى أن مصطلح: الأقلية قد أسيء استغلاله. وهو يرى أنه إذا توافرت لغة مشتركة، فليس ثمة مجالاً لمثل هذا المصطلح حيث إن اللغة هي الإطار الثقافي الذي يصيغ ذهن وضمير الأمة. وجميع المتحدثين باللغة العربية هم جزء من هذه الأمة وليس بينهم أقلية على الإطلاق (الفقى، ١٩٩٦، ١٠١-١٠٦).

وفي محاولته لإثبات أن أقباط مصر لا يشكلون أقلية عرقية، طرح رفيق حبيب رؤية أخرى لمفهوم الأقلية. وحبيب الذي ينتمي للطائفة الإنجيلية. يعتقد أن الأقلية القبطية ليست أقلية عرقية بل هي أقلية فيما يتعلق بالدين لا فيما يتعلق بالخصائص والسمات الاجتماعية (حبيب، ١٩٩٠، ص ١٦٠).

ويغلب على الجدل في بعض الأوقات طابع البحث عن تعريفها. فها هو حبيب يضع ثلاثة نماذج مختلفة من الأقليات. الأولى هي الأقلية المقهورة: وهي تقبع في الطبقة الدنيا، ويعتبر المهاجرون إلى الغرب خير مثال لهذه الجماعة. والنموذج الثاني هم الأقلية المسيطرة، حيث تمتلك جماعة الأقلية السلطة والنفوذ بشكل لا يتناسب مع حجمها، ويمثل هذا النموذج المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة. أما النموذج الثالث فهو ما أطلق عليه الأقلية الوسط (In-Between) الذي يعد أقباط مصر هم المثال الرئيس له. فهم موزعون بين كل طبقات الشعب المصري، وبالرغم من تواجدهم بمعدلات أقل في الطبقة الدنيا وفي النخبة الحاكمة، إلا أنهم يتواجدون بشكل أساسي بين صفوف الطبقة الوسطى (المرجع السابق، ١٧-١٨). وتبعاً لما سبق فإن رفيق حبيب يوافق على اعتبار المسيحيين أقلية من حيث الاختلافات الدينية عن الأغلبية بينما يرفض هيك ولفقى ومارقس اعتبار الأقباط أقلية كمفهوم وأيضاً كمصطلح.

وفي حين نرى أن تعريف حبيب غير المفصل للمهاجرين إلى الغرب باعتبارهم أقلية مضطهدة هو تعريف مثير للجدل. وكذلك تأكيده أن المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة هم أقلية مسيطرة يعد أيضاً تعريفاً لا يمكن إثباته. فعلى الرغم من امتلاك المجتمع اليهودي تأثيراً كبيراً على السياسات الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، فإنه من المبالغة في التعبير أن نستنتج أن اليهود الأمريكيين هم المسيطرون على السياسة الأمريكية. كما أن وصفه للأقباط بأنهم أقلية وسطى (In-Between) على أساس التصنيف الطبقي هو أيضاً غير مبرهن

لأنها من سلالة يسوع النسل الحقيقي لإبراهيم (غل ٣: ١٥-٢٩). وقال إنها نور وإنها ملح (مت ٥: ١٣-١٤)، وكلا الرمزتين يفتحان آفاقها على النوعية ويُبطلان مفهوم الأعداد والكمية. فلا النور تستطيع حصيه حين ويضيئ، ولا الملح يمكن أن تعدده متى وضعته في الأكل ليعطيه نكهته. وقال إنها خميرة، والخميرة صغيرة وصامته وفاعلة من خلال التفاعل الصبور فتخمر العجين كله (مت ١٣: ٣٣). وهي القطيع الصغير (لو ١٢: ٣٢)، وحبّة الحنطة تقبل الموت لتعطي حبات كثيرة (يو ١٢: ٢٤). وهي موكب المساكين الصانعين السلام (مت ٥: ١، ٩)، والأرملة التي أعطت فلسها (لو ٢١: ٢).

ومع المسيح صار الأتقياء، وصانعوا الرحمة، من أي دين كانوا ومن أية خلفية فكرية أو عرقية أو إنسانية، صاروا هم البقية التي يجد فيها فرحة وجهه. فمع المسيح انفتحت إلى الأبد وإلى ما لا نهاية، آفاق الانتماء إليه، وصار شرط الانتماء إليه أن تكون في جوه، جو منطق الحب الذي علمه في شخصه وفي حياته. وهذه هي البقية اليوم التي ينتظر منها أن تغير وجه العالم.

### مفهوم البقية والمسيحيون في العالم العربي

من خلال مفهوم البقية في الكتاب المقدس، ننقل إلى مفهوم الأقلية في العالم العربي، وفي هذا السياق ننظر إلى المسيحيين العرب باعتبارهم أقلية سياسية. وربما هنا نتساءل هل يتحقق مفهوم البقية في الكتاب المقدس على الأقلية المسيحية في العالم العربي اليوم؟ ومن هنا بدأ المسلمون والمسيحيون العرب في طرح مفهوم الأقلية للنقاش من أجل الوصول إلى تعريف للمصطلح، وهل يشكل المسيحيون أقلية؟

فيرى سعد الدين إبراهيم أن أي مجموعة بشرية تختلف عن الأغلبية في واحد أو أكثر من المتغيرات التالية: الدين أو اللغة أو الثقافة أو السلالة، هي جماعة أقلية. ومن وجهة نظره، لا يعني مصطلح الأقلية الانفصال عن أو الرفض من الأغلبية. ففي العالم العربي هناك أقليات عديدة كافح أفرادها في سبيل الوحدة العربية وأسهموا مساهمات رائدة في الفكر القومي العربي (إبراهيم، ١٩٩٤، ١٧).

وهناك أصوات أخرى ترفض مصطلح «أقلية» وما يوحي به من دلالات التفرقة والانفصال. فيوضح محمد حسنين هيك أن جماعة الأقباط الأرثوذكس لا ينبغي النظر إليهم باعتبارهم أقلية منفصلة حيث إنهم يشكلون جزءاً من الثقافة المصرية. وأعضاء هذه الجماعة قد أسهموا في الكفاح المصري من أجل الاستقلال واليوم يشاركون في الحياة المصرية بصفتهم مواطنين يتمتعون بكل صلاحيات المواطنة (هيك)، أقباط مصر ليسوا أقلية وإنما جزء من الكتلة الحضارية للشعب المصري).

تأثيرها الخاص على سياسات المنطقة.

وثمة فارق بالغ الأهمية في الإسلام بين «الأقلية الدينية» وبين «الملة». ويوضح فؤاد خوري أن الملل في الإسلام كانوا يتولون إدارة التخوم والأطراف البعيدة عن سيادة سلطان الدولة. وقد طوروا أدوات غير تقليدية للسيطرة الأخلاقية تستند على التزامات الديني والنزعات السياسية التمردية، ونشر المؤسسات الدينية، والالتزام بطقوس دينية متشددة، ووضع تشريع اجتماعي- ديني صارم (Khuri, 1990, 18). أما الأقليات الدينية فتعيش داخل أسوار المدن، وتخضع للسلطة المركزية وترضي بمذهب حاكم الدولة، وتلجأ إلى احترام مهنة معينة والتخصص في شكل واحد أو أكثر من أشكال الإنتاج.

ويرى خوري أن الملل لا تقطن فقط مناطق الأطراف والتخوم؛ ولكنها أيضاً تتمتع بنوع من الانحصار المحلي الذي لا يتوافر لغيرها من الأقليات الدينية الأخرى. وهذا الانحصار المحلي يتضمن الشيع (الملل) المتركة في مناطق محددة وتمتلك اقتصاداً مستقلاً يقوم على إنتاج زراعي كثيف. وبناء على هذا المقياس، يقترح خوري أن الموارد في لبنان هم ملة بينما الأقباط الأرثوذكس في مصر تشكل أقلية دينية (المرجع السابق، ٢٢).

ومصطلح «الأقلية» له معان مختلفة لدى مختلف الناس، ففي سوريا نجد العلويين هم أقلية متجمعة حاكمة. أما الأكراد وأهالي جنوب السودان والبرابرة في شمال أفريقيا فهم أقليات شبه متجمعة. بينما يصبح مفهوم الأقلية المنتشرة مفهوماً حاسماً في هذه الدراسة لأن هذا المفهوم يمثل انعكاساً لحالة الأقباط في مصر. وكذلك تعريف خوري لـ «الملة» هو تعريف نافع أيضاً لمساعدتنا على استيعاب وضع جماعة مثل الموارد. وعبر التاريخ كان مصطلح «الملة» يستخدم للإشارة إلى كل الجماعات المسيحية تحت الحكم العثماني:

إذا، يمكننا أن نستنتج أن تعريف إبراهيم لجماعة الأقلية (وهي التي تختلف عن الأغلبية في متغير واحد) قابل للتطبيق في المنطقة، على الرغم من كونه يزيد من حدة الإشكاليات مثل تعريف كلمة «جماعة» (هل الجماعة تمتلك تجانساً؟ ما هو المتغير الذي يمكن اعتباره المتغير الحاسم لتمييز الجماعة عن الأغلبية؟) لكن المهم هو أن تعريف إبراهيم للأقلية يمكن أن يساعدنا على تحليل الدور السياسي لجماعة مثل الأقباط. كما أن أقباط مصر والتي ينظر إليها كجماعة في مجال العمل السياسي تتعامل معهم الدولة على أساس هذا الاعتبار.

لذا فعندما يستخدم مصطلح «الأقلية» في هذا السياق، إنما هو يشير إلى الجماعات التي تختلف عن الأغلبية في متغير واحد على الأقل. فعلى سبيل المثال، يختلف أهالي جنوب السودان والمسيحيون الأرمن في الشرق الأوسط عن الأغلبية من المسلمين أتباع المذهب

عليه، حيث لا توجد ثمة علاقة واضحة بين الطبقة والدين في مصر. والواقع يبرز أن مصطلح «الأقلية» يعبر عن إشكالية حقيقية في الشرق الأوسط. فهذه الكلمة في الغرب ليس لها أي دلالات أخرى عدا محددات معينة. فعلى سبيل المثال: عبارات مثل «أقلية دينية مسلحة» و«أقلية غير عاملة وثرية» يمكن أن تفهم باعتبارها جماعات أقلية. وفي الشرق الأوسط كلمة «أقلية» يمكن أن تعني «منفصلين ومهجرين ومهمشين ونازحين ومتدنيين في الأوضاع الاقتصادية والسياسية». ولذلك يحتاج المرء إلى الحذر الشديد عند تطبيق هذا المصطلح على جماعات محددة في الشرق الأوسط.

ويقترح بن- دور (Ben-Dor) مدخلاً آخر لدراسة نماذج الأقليات. ويذهب إلى أن الأقليات ويمكن تصنيفها إلى أقلية مدمجة أو متجمعة (Compact)، وأخرى شبه متجمعة (Semi-Compact)، وثالثة غير متجمعة أو منتشرة (Non-Compact). والأقليات المتجمعة هي جماعات تحتل منطقة محددة جغرافياً بدقة تمثل جزءاً صغيراً فقط من الدولة ولكنها تشكل أغلبية مطلقة أو كافية في هذه المنطقة (Ben-Dor, 1999, 7). أما الجماعات «شبه المتجمعة» فهي جماعات لا تشترك في نفس الظروف مثل الأقليات المتجمعة. ولكن على الرغم من اختلاف أوضاعهم وظروفهم إلا أنهم يشتركون في بعض الصفات والمقومات الخاصة بالأقليات المتجمعة. في حين أن الأقليات المنتشرة هي جماعات غير مؤثرة سياسياً لكنها مؤثرة ثقافياً. وبالطبع هناك جماعات أخرى تتواجد فيما بين هذه النماذج. ومثال عليها الأقباط الأرثوذكس في مصر الذين يقتربون من نموذج الأقلية المنتشرة لكنهم غير مطابقين لهذا النموذج، وذلك نتيجة لحجمهم وتمركزهم الجغرافي بشكل جزئي في مناطق معينة.

ويقترح سعد الدين إبراهيم تقسيم العالم العربي إلى فئات أو تصنيفات أساسية هي: أغلبية من المسلمين السنة، وأقليات غير ناطقة باللغة العربية، وأقليات من المسلمين غير المنتسبين إلى المذهب السني، وأقليات عرقية. ويرى إبراهيم أن هناك جماعة واحدة من هذه الجماعات تتواجد في دولة واحدة فقط؛ والبقية منتشرون في أكثر من دولة بالمنطقة.

كما يتسم العالم العربي بأنه منطقة ذات أغلبية سكانية من المسلمين أتباع المذهب السني، ومعهم أقليات أخرى. والدين هو العنصر المنحكم في هذه العلاقة. وتشكل الجماعات المسلمة ما يزيد على ٩٠٪ من تعداد سكان المنطقة. وتشكل الأقليات اللغوية والثقافية أكبر الأقليات حجماً، والأقليات العرقية هي الأصغر. ويتساوى تقريباً تعداد غير المسلمين وغير السنة ويمثلون أقل من ٢٠٪ من التعداد الكلي لسكان المنطقة. وهناك الكثير من الأقليات السياسية والعرقية والدينية في العالم العربي، وهذه الأقليات لديها

١٩: ٨-١٩ ملك آشور يرسل رسالة تهديد، وحزقيا يرفعها أمام الرب يعود الكاتب إلى رسل ملك آشور، فهو لاء، بعد أن بلغوا، عادوا إلى لخيض ليجدو ملكهم سنحاريب قد انتقل وجيشه إلى لبنة - جنوب غرب يهوذا (انظر ٨: ٢٢؛ يش ١٠: ٢٩؛ ١٢: ١٥) حيث تلاقى جيش الآشوريين بالجيش المصري - فإن ملك مصر، تراهقة الكوشي، شن حملة على الآشوريين. ذهب الرسل إليه إلى لبنة، أخبره كبير مستشاريه (رب- شاقى) ما حصل، فعمد إلى زيادة مستوى التهديد على حزقيا خوفاً من اتصال جيشه بالجيش المصري. طلب سنحاريب من كتّابه كتابة رسائل تهديد إلى حزقيا، أرسلها له مع كبار معاونيه. وهو لاء قرأوا الرسائل على حزقيا وأتباعه ثم سلموه إياها. وفي هذه الرسائل يحذر سنحاريب حزقيا من مغبة الانكسار على الرب إلهه لأن هذا الأخير يخدعه بقوله بأن أورشليم لا تدفع إلى يد ملك آشور؛ ثم يذكره بما فعل بجميع الشعوب التي قامت في وجه ملوك الآشوريين آبائه، وهذه المدن هي: جوزان (تل حلف الحالية شمال غرب بلاد الرافدين في أعالي الفرات؛ ١٧: ٦) وحران (قرب جازان) ورصف (الرسافة، بين تدمر والفرات) وبني عدن (على شاطئ الفرات الأوسط) الذين في تلاسار (تل ياسري على الفرات)، حماة، وأرفاد (أرواد)، وسفراويم (في منطقة حماة حز ١٦: ٤٧) وهينع وعوا (تل كفريا على العاصي جنوب غرب حمص؛ ١٧: ٢٤؛ ١٨: ٣٤): هذه كلها في الطريق التقليدية من بلاد الرافدين إلى بلاد الشام. وكان ملك آشور قد سبى سكان هذه المدن وأسكنهم في السامرة (١٧: ٢٤). ثم يضيف، فإن كانت آلهة تلك الشعوب لم تستطع أن تخلصهم فهل يستطيع الرب إلهك أن يخلصك؟ (ع. ٨-١٣). تسلم حزقيا رسائل سنحاريب وقرأها ثانية، ثم صعد إلى بيت الرب وفردها أمام الرب ونطق بصلاة تعبر عن حرقة قلب وحزن عميق. دعا حزقيا في صلاته الرب «الجالس فوق الكروبيم» (ع. ١٤)، في إشارة إلى تابوت العهد الموضوع في قدس الأقداس ومحاط بكرويين الذي هو بمثابة عرش للرب والرب هو الملك الجالس على العرش. الرب فوق التابوت وليس فيه، الرب إله محجوب متعال لا يرى. ويصرح حزقيا بأن الرب هو الذي خلق السماء والأرض، فهو إذا إله كل الشعوب، بل وحده الإله الحقيقي. طلب حزقيا من الرب أن يسمع كلام سنحاريب الذي يعيره (الرب) وينظر إلى حالة يهوذا المزرية. ثم يُقر بأن الآشوريين تغلبوا على آلهة الأمم لأنها ليست آلهة حقيقية، فهي خشب وحجر، أما الرب فهو الإله الحقيقي. وأخيراً يطلب منه الخلاص «فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك» (ع. ١٤-١٩).

١٩: ٢٠-٣٦ الرب يرد على حزقيا بواسطة إشعياء ويخلص يهوذا

وهذا وصلت آخر الأخبار إلى إشعياء النبي، وعرف برسائل سنحاريب وبصلاة حزقيا في بيت الرب. فأثاه وحي من الرب

السني في متغيرات الدين، واللغة، والثقافة؛ في حين يختلف أقباط مصر في متغير الدين فقط.

وفي حين لا يفضل كثير من المسيحيين استخدام مصطلح «أقلية»، نجد أن هذا التعبير سوف يساعدنا على تفهم كيفية مشاركة الأقليات المسيحية في السياق السياسي الذي يقبلهم ويقبل تواجدهم كجماعة ولكنه ينكر عليهم أي قوة سياسية. ففي الشرق الأوسط، نجد أن مصطلح «أقلية» تعبير شديد الحساسية، لكن استخدامه وتطبيقه حقيقة واقعية. وجل اهتمامنا هنا هو التطلع إلى الأقليات المسيحية من أجل معرفة مدى إسهامهم في السياسة، وكيف يؤثر انتماءهم الديني في ذلك. وفي الوقت الحالي.

لقد جاءت ثورات ما يطلق عليه الربيع العربي إلى منطقة الشرق الأوسط، وفي إطار صعود الإسلام السياسي إلى السلطة في بعض بلدان المنطقة، أصبح من المهم ربط مفهوم الأقلية بمفهوم البقية. وهذا الربط سوف يساعد المسيحيين العرب في تعميق رؤية لاهوتية تتسم ببناء الجسور والفاعلية، وتتجاوز النظرة الضيقة للعدد، ولا سيما بعد موجات الهجرة التي تتابعت بعد ثورات الربيع العربي. هذا المفهوم العميق للبقية، قد يكون من أهم أدوات إنتاج دراسة هامة للتعايش والحضور.

## المراجع

- إبراهيم، سعد الدين. الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي. القاهرة: مركز ابن خلدون، ١٩٩٤.
- الفتي، مصطفى. رؤية الغائب. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦.
- الفغالي، بولس. قاموس المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم. لبنان: المكتبة البولسية، ٢٠٠٣.
- حبيب، رفيق. المسيحية السياسية في مصر. القاهرة: دار يافا للدراسات والنشر، ١٩٩٠.
- مرقس، سمير. الحماية والعقاب: الغرب والمسألة الدينية في الشرق الأوسط. القاهرة: الدار المصرية للطباعة، ٢٠٠٠.
- هيك، محمد حسنين. «أقباط مصر ليسوا أقلية وإنما جزء من الكتلة الحضارية للشعب المصري.» في جريدة الأهرام، ٢٢ إبريل ١٩٩٤.

Bengio, Ofra, and Gabriel Ben-Dor. *Minorities and the State in the Arab World*. Boulder (Colo.): L. Rienner, 1999.

Khuri, Fu'ad I. *Imams and Emirs: State Religion and Sect in Islam*. London: Saqi Books, 1990.

الدكتور القس أندريه زكي إسطفانوس

حول الموضوع، ونقل قول الرب إلى حزقيا: الرب سمع صلاتك (ع. ٢٠)، وقال عن ملك آشور: «اِخْتَقَرْتُكَ وَاسْتَهْزَأْتُ بِكَ الْعُذْرَاءُ ابْنَةُ صِهْيُون، وَنَحَوْتُ أَنْغَضْتُ ابْنَةَ أُورُشَلِيمَ رَأْسَهَا...» (ع. ٢١-٢٨). كشف الرب لسنحاريب تكبر قلبه وتشامخه حتى عليه شخصياً (ع. ٢٢)، وكشف له خططه الحربية التي حاكها في السر والناجعة من تكبره: «وَقُلْتُ: بِكَثْرَةِ مَرْكَبَاتِي قَدْ صَعَدْتُ إِلَى غُلُو الْجِبَالِ، إِلَى عَقَابِ لِبْنَانٍ وَأَقْطَعُ أَرْزَهُ الطَّوِيلَ وَأَفْضَلُ سُرُوهَ، وَأَدْخُلُ أَقْصَى غُلُوهِ، وَغَرَّ كَرْمَهُ. أَنَا قَدْ حَفَرْتُ وَشَرَبْتُ مِيَاهًا غَرِيبَةً، وَأَشْفُفُ بِأَسْفَلِ قَدَمَيَّ جَمِيعَ خُلْجَانِ مِصْرَ»: قلة المياه في المناطق الصحراوية لا تؤخره، وكثرتها في المناطق الساحلية لا تعيقه (ع. ٢٣-٢٤). كان الآشوريون قد زحفوا من شرق دجلة، واجتازوا الفرات، واحتلوا كل المناطق غرباً وصولاً إلى البحر، ثم توجهوا نحو الجنوب الشرقي فاحتلوا تدمر، ثم دمشق، وساروا إلى البقاع اللبنانية، وغزوا الساحل اللبناني وصولاً إلى حدود إسرائيل، واحتلوا السامرة، وها هم يستعدون لاحتلال يهوذا والزحف جنوباً لاحتلال مصر، وهذا ما جعل ملكاً كسنحاريب يستعلي على الله. ويتابع الله كلامه على سنحاريب، فيسأله إذا كان لم يسمع بأعمال الرب العظيمة، فما يفعله اليوم من تخريب المدن وتشريد سكانها، الرب تصوره قديماً. هو لم يفعل إلا ما صورته الرب قديماً، أي أن ملك آشور يتحرك بحدود ما قرره الله فقط، حتى وإن استقوى على شعوب ضعيفة كعشب الحقل. (ع. ٢٥-٢٦). ويضيف الرب بأنه عالم بكل تحركات سنحاريب واستعلائه عليه، ثم يهدده: «أَضْعُ خِزَامَتِي فِي أَنْفِكَ وَلِجَامِي فِي شَفَتَيْكَ، وَأَرُدُّكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ» (ع. ٢٧-٢٨). هذه الصورة الأخيرة تصور بهيمة يوضع لها اللجام في فمها والخزامة في شفتيها وتجر إلى حيث يريد المتسلط عليها. هكذا سيكون سنحاريب بيد الرب. لا يجب أن يؤخذ هذا الكلام بحرفيته، فملخص القول هو أن الله يجيب عن صلاة حزقيا بأنه سيطر على الأمور وممسك بكل التفاصيل، فلا ينبغي أن يستسلم للخوف. ثم ينتقل الكلام إلى النبي إشعيا، فيرسل علامة حسية للملك حزقيا تعبيراً عن صحة أقواله النبوية. والعلامة هي أن شعب يهوذا سيأكل هذه السنة من زرع السنة الماضية، فالحرب لم تسمح لهم بأن يزرعوا، والسنة القادمة سيأكلون أيضاً مما يتبقى، أما السنة الثالثة، فيستمكنون من الزرع والحصاد بطريقة طبيعية (ع. ٢٩). هذا يعني أنه ستمر سنتان صعبتان على يهوذا وفي السنة الثالثة يأتي الفرج. ويتابع إشعيا: البقية الباقية بعد الحرب ستأصل في أرضها وتثبت، وهذه البقية ستخرج من أورشليم ومن جبل صهيون. والرب هو من يصنع هذا العمل العظيم (ع. ٣٠-٣١). ثم يعود إشعيا إلى أقوال الرب عن ملك آشور: «لَا يَدْخُلُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ... فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ يَرْجِعُ...» (ع. ٣٢-٣٣). لن يتمكن سنحاريب من

احتلال أورشليم، وسيُرمى على فك الحصار. والرب نفسه سيحامي عن المدينة من أجل وعوده الصادقة وعهده مع داود (ع. ٣٤). هنا تذكير بالعهد الداودي الذي هو عماد علاقة يهوذا بالله. ويأتي الكلام إلى كاتب سفر الملوك، فيقدم تقريراً عما حدث: يبدو أن جيش سنحاريب أصيب بوباً مميت فمات منه عد كبير. يقولها الكاتب بلغة لا هوتية: ملك الرب خرج وضرب جيش آشور... (ع. ٣٥). عندها أرغم سنحاريب على فك حصاره لأورشليم، فقفل راجعاً. ذهب هو إلى مدينته الأصلية نينوى، وذهب إلى معبد إلهه نسروخ ليسأله عما جرى لجيشه وليسأله الشفاء. وفيما هو ساجد، اغتاله ابنه أدرملك وشرأصر، وهربوا إلى أرض أراط (جبال الأكراد) وملك ابنه أسرحدون مكانه (ع. ٣٦-٣٧). فوعد الرب لحزقيا قد تمت، لم يستطع سنحاريب أن يدخل أورشليم، عاد في الطريق التي أتى منها، وضرب بالسيف ومات (انظر ع. ٥-٧؛ وع. ٣٢-٣٤).

**٢٠: ١-١١ مرض حزقيا وصلاته وشفائه بعد ذلك يأتي**  
خبر مرض حزقيا. أصاب حزقيا مرض مميت، وكان كلام الرب له بفم إشعيا: «أَوْصِ بَيْتَكَ لَأَنْكَ تَمُوتَ وَلَا تَعِيشَ» (ع. ١). عند هذا الخبر السيئ، انكسر قلب حزقيا وتذلل أمام الرب مصلياً ومذكراً الرب بتقواه، وكان يبكي بكاءً مرّاً (ع. ٢-٣). علم إشعيا بالأمر، وأتته رسالة من الرب أرسلها لحزقيا: «قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. هاأنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب. وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة...» (ع. ٥-٦). وطلب إشعيا أن يؤخذ قرص تين ويوضع على دبل حزقيا فيشفى (ع. ٧). وطلب حزقيا من إشعيا علامة حسية على شفاؤه (ع. ٨). طلب علامة على صحة الرسالة الإلهية المسلمة أمر شائع في العهد القديم (انظر قض ٦: ١٧-٤٠؛ إش ٧: ١٠). وجاءته العلامة بواسطة إشعيا الذي سأله: «هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات؟ فقال حزقيا إنه يسير على الظل أن يمتد عشر درجات. لا بل يرجع الظل إلى الوراء عشر درجات. فدعا إشعيا النبي الرب فأرجع الظل بالدرجات التي نزل بها بدرجات أحاز عشر درجات إلى الوراء» (ع. ٩-١١). هي ساعة شمسية في قصر حزقيا تقيس الظل فيعرف الوقت. كانت هذه الساعة عبارة عن حائط نحو الشرق. فحين تشرق الشمس يكون الظل ممتداً على الدر

الشمس كان الظل يتراجع عن الدرج. وكان يو. الغرب وخلفه درج، فكان كلما ذهب الشمس نح على الدرج. الظاهر أن الظاهرة حدثت بعد الظل على الدرج، تراجع عشر درجات.

**٢٠: ١٢-١٩ ملك بابل يوقع حزقيا في فخ**  
ملك بابل برودخ (مردوخ) بلادان بن بلادان بمرض حزقيا فأرسل له هدية (ع. ١٢؛ را. إش ٣٩). معنى اسم ملك بابل: مردوخ (إله



أنبياء برسائل تحذير وتهديد إلى بني إسرائيل، هذه الرسائل قراءة متأخرة لما حل في سبي بابل: سَتَعْمَلُ أُورُشَلِيمُ كَمَا عَمِلَتِ السَّامِرَةُ وَقَبْلَهَا بَيْتُ أَخَابَ؛ سَتُسْمَحُ أُورُشَلِيمُ وَتَصْبَحُ كَالصَّحْنِ الْفَارِغِ؛ سَيَصِيبُ الْيَهُودَ وَيُؤْنِ غَنِيمَةً لِإِعْدَائِهِمُ الْكِلْدَانِيُّينَ (ع. ١٠-١٥). ويضيف الكاتب الملهم إلى شُرُورِ مَنْسَى، شُرُورًا أَعْظَمَ: مَنْسَى سَفَكَ كَثِيرًا مِنَ الدَّمِ الْبَرِيئَةِ فِي أُورُشَلِيمَ (ع. ١٦). بقية أمور مَنْسَى مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا الذي نجهله (ع. ١٧). مات مَنْسَى، ودُفِنَ فِي بَسْتَانَ بَيْتِهِ، وَمَلِكُ آمُونَ ابْنُهُ مَكَانَهُ (ع. ١٨). فِي التَّقْلِيدِ الْكَهْنَوِيِّ، أَخَذَ الْمُحْتَلُّ مَنْسَى إِلَى بَابِلَ، حَيْثُ تَابَ عَنْ خَطِيئَتِهِ، وَأَرْجَعَهُ الرَّبُّ إِلَى مُلْكِهِ فَأَزَالَ الْأَصْنَامَ وَرَمَمَ مَذْبَحَ الرَّبِّ (انظر ٢ أخ ٣٣: ١١-١٩). وَجَاءَ فِي سَفَرِ صُعُودِ إِشْعِيَاءَ الْمُنْحُولِ أَنَّ مَنْسَى أَلْقَى الْقَبْضَ عَلَى إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ، وَوَضَعَهُ فِي جَذَعِ شَجَرَةٍ وَنَشَرَهُ بِالْمَنْشَارِ (را. عب ١١: ٣٧).

**٢١: ١٩-٢٦ ملك آمون في يهوذا** آمون هو الملك الخامس عشر في مملكة يهوذا (ع. مون بن مَنْسَى بن حَزَقِيَّا بن أَحَاز بن يُوَثَام بن عَزْرِيَّا بن أَمُصِيَّا بن يُوَاشْ - عَثْلِيَّا - أَخْزِيَّا بن يُوَرَام بن يُوَاشَفَاط بن آسَا بن أَبِيَّا بن رَحْبَعَام). كَانَ عَمْرُهُ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، مَلَكَ سَنَتَيْنِ، أَيْ مِنْ ٦٤٦ حَتَّى ٦٤٥ ق. م. اسْمُ أُمِّهِ مُشَلَّمَةُ بِنْتُ حَارُوصَ مِنْ يَطْبَةَ (مَكَانٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٍ) (ع. ١٩). عَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ (ع. ٢٠-٢٢). اغْتَالَه عِبِيدُهُ لِأَسْبَابِ نَجْهَلِهَا، لَكِنَّ الشَّعْبَ انْتَقَمَ لَهُ فَقَتَلَ الَّذِينَ اغْتَالَوهُ وَمَلَكُوا ابْنَهُ يُوْشِيَّا عَوْضًا عَنْهُ (ع. ٢٣-٤٢). بَقِيَّةُ أُمُورِ آمُونَ نَجْدَهَا فِي سَفَرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا الَّذِي نَجْهَلُهُ (ع. ٢٥). دُفِنَ فِي قَبْرِهِ فِي بَسْتَانَ عَزَا، حَيْثُ دُفِنَ وَالِدُهُ. (ع. ٢٦).

**٢٢: ١-٢٣: ٣٠ مقدمة ملك يوشيا** (٢٢: ١-٢)؛ يُوْشِيَّا يَعْتَنِي بِتَرْمِيمِ بَيْتِ الرَّبِّ (٢٢: ٣-٧)؛ حَلَقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ يَجِدُ كِتَابَ الشَّرِيعَةِ فِي الْهَيْكَلِ وَيُرِيهِ لِلْمَلِكِ، وَالْمَلِكُ يَتَبَكَّتُ وَيَتَّخَذُ إِجْرَاءَاتٍ. (٢٢: ٨-٢٠)؛ يُوْشِيَّا يَجِدُ الْعَهْدَ مَعَ الرَّبِّ وَيَقُومُ بِإِصْلَاحَاتٍ دِينِيَّةٍ (٢٣: ١-٢٧)؛ نِهَايَةُ مَلَكَ يُوْشِيَّا وَمَوْتُهُ (٢٣: ٢٨-٣٠).

**٢٢: ١-٢ مقدمة ملك يوشيا في يهوذا** إِنَّ يَحِقَّ أَنْ يَدْعَى سَلِيمَانَ مُؤَسَّسَ الْعِبَادَةِ فِي هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ، فَيَجُوزُ أَنْ نَدْعُو يُوْشِيَّا الْمُؤَسَّسَ الثَّانِي. لِأَنَّنَا نَرَى أَنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ حَتَّى يُوْشِيَّا لَمْ يَلْتَزِمِ الشَّعْبَ بِالْهَيْكَلِ الْمَرْكَزِيِّ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَمِنْذُ يُوْشِيَّا، تَمَرَّكَزَتِ الْعِبَادَةُ فِي مَعْبَدِ أُورُشَلِيمَ الْمَرْكَزِيِّ، أَيْ الْهَيْكَلِ. يُوْشِيَّا هُوَ الْمَلِكُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي مَمْلَكَةِ يَهُوذَا (يُوْشِيَّا بن آمُونَ بن مَنْسَى بن حَزَقِيَّا بن أَحَاز بن يُوَثَام بن عَزْرِيَّا بن أَمُصِيَّا بن يُوَاشْ - عَثْلِيَّا - أَخْزِيَّا بن يُوَرَام بن يُوَاشَفَاط بن آسَا بن أَبِيَّا بن رَحْبَعَام). كَانَ عَمْرُهُ ثَمَانِي سَنِينَ حِينَ مَلَكَ - طَبِيعِي أَنْ يَحْكُمَ مُسْتَشَارُوهُ الْبِلَادَ لِحِينَ بُلُوغِهِ وَنَضْجِهِ - مَلَكَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً، أَيْ مِنْ ٦٤٥ حَتَّى ٦١٤ ق. م.

بَابِلَ) وَهَبَ أَبْنًا. هُوَ مَرْدُوخُ بِلَادَانَ الثَّانِي، مَلَكَ فِي بَابِلَ بَيْنَ ٧٢٢ وَ ٧١٠ ق. م. حَيْثُ اغْتَصَبَ سَرَجُونَ عَرْشَهُ، ثُمَّ تَمَكَّنَ مِنْ اسْتِرْجَاعِهِ ٧٠٣ وَبَقِيَ عَلَيْهِ سَنَتَيْنِ. عَلَى الْأَغْلَبِ حَدَثَتِ هَذِهِ الزِّيَارَةُ خِلَالَ فِتْرَةِ حُكْمِهِ الثَّانِيَةِ، بَغِيَّةٌ تَرْتِيبُ أَحْلَافٍ فِي الْمَنْطِقَةِ لِيَنْقُضَ عَلَيْهَا فِيمَا بَعْدَ. نَرَى أَنَّ نَجْمَ بَابِلَ بَدَأَ يَتَصَاعَدُ، وَسَيَسْتَمِرُّ فِي التَّصَاعُدِ حَتَّى كَسَرَ الْقُوَّةَ الْأَشُورِيَّةَ لِتَصْبِحَ بَابِلُ الْقُوَّةَ الْعَظْمَى فِي الْمَنْطِقَةِ. فَاسْتَقْبَلَهُمْ حَزَقِيَّا اسْتِقْبَالًا حَارًّا وَأَرَاهُمْ بَيْتَ ذَخَائِرِهِ وَبَيْتَ أَسْلِحَتِهِ «لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لَمْ يُرْهِمْ إِيَّاهُ» (ع. ١٣). لَا نَدْرِي مَا وَرَاءَ انْفِتَاحِ حَزَقِيَّا عَلَى رُسُلِ مَلَكَ بَابِلَ! يَبْدُو أَنَّهُ يَصْبُو إِلَى تَحَالُفٍ مَعَهُمْ ضِدَّ الْأَشُورِيِّينَ. وَعَلَى الْأَغْلَبِ، كَانَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ سَرِيَّةً. عَرَفَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ بِالْأَمْرِ، فَجَاءَ إِلَى الْمَلِكِ حَزَقِيَّا، وَاسْتَفْهَرَ مِنْهُ عَنِ الْأَمْرِ. وَلَمَّا عَلِمَ إِشْعِيَاءُ أَنَّ حَزَقِيَّا أَرَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَيْتِهِ، نَقَلَ لَهُ رِسَالَةَ الرَّبِّ: «هُوَذَا تَأْتِي أَيَّامٌ يُحْمَلُ فِيهَا كُلُّ مَا فِي بَيْتِكَ، وَمَا ذَخَرَهُ أَبَاؤُكَ إِلَيَّ هَذَا الْيَوْمَ إِلَى بَابِلَ... وَيُؤْخَذُ مِنْ بَنِيكَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْكَ، الَّذِينَ تَلَدُهُمْ، فَيَكُونُونَ خَصِيَانًا فِي قَصْرِ مَلِكِ بَابِلَ» (ع. ١٤-١٨). قَرَأَةً مُتَّخِرَةً عَنِ الْحَمْلَةِ الْأُولَى مِنْ سَبْيِ بَابِلَ سَنَةً الَّتِي حَدَثَتْ ٥٩٧ ق. م. (انظر ٢٤: ١٣-١٦)، حَدَثَتِ الْحَمْلَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْأَخِيرَةُ ٥٨٧ ق. م. (انظر ٢٥: ١١-١٢). قَبْلَ حَزَقِيَّا كَلَامَ الرَّبِّ بَرَضَى طَالَمَا أَنَّ عَهْدَهُ يَبْقَى فِي سَلَامٍ، وَهَذِهِ سَتَحْدُثُ فِي زَمَنِ خَلْفَائِهِ. يَا لَهَا مِنْ أَثَانِيَّةٍ كَاتِبِ الْأَخْبَارِ يُرْجِعُ السَّلَامَ فِي عَهْدِ حَزَقِيَّا إِلَى تَوَاضُعِهِ (٢ أخ ٣٢: ٢٦).

**٢٠: ٢٠-٢١ موت حَزَقِيَّا** بَقِيَّةُ أُمُورِ حَزَقِيَّا مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ لِمُلُوكِ يَهُوذَا. خَاصَّةً أَخْبَارُ جَرِّ الْمِيَاهِ فِي قَنَاةٍ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَعَمَلُ الْبَرَكَةِ (انظر نح ٣: ١٦). تَمْتَدُّ هَذِهِ الْقَنَاةُ مِنْ نَبْعٍ جِيحُونَ إِلَى بَرَكَةِ سُلُومٍ دَاخِلَ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ، وَهِيَ مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً فِي الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ (٢ أخ ٣٢: ٣١). مَاتَ حَزَقِيَّا وَمَلَكَ ابْنُهُ مَنْسَى مَكَانَهُ (ع. ٢١).

**٢١: ١-١٨ ملك مَنْسَى في يهوذا** مَنْسَى هُوَ الْمَلِكُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي مَمْلَكَةِ يَهُوذَا (مَنْسَى بن حَزَقِيَّا بن أَحَاز بن يُوَثَام بن عَزْرِيَّا بن أَمُصِيَّا بن يُوَاشْ - عَثْلِيَّا - أَخْزِيَّا بن يُوَرَام بن يُوَاشَفَاط بن آسَا بن أَبِيَّا بن رَحْبَعَام). كَانَ عَمْرُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حِينَ تَوَفَّى وَالِدُهُ، أَيْ ٧٠١ ق. م. دَامَ مُلْكُهُ مَدَّةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، أَيْ حَتَّى ٦٤٦ ق. م. اسْمُهُ أُمُّهُ حَفْصِيَّةُ (مَسْرَتِي بِهَا) (ع. ١). عَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ فَأَعَادَ الْعِبَادَاتِ الْوَثْنِيَّةَ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهَا، وَأَعَادَ عِبَادَةَ الْبَعْلِ، وَعِبَادَةَ الْكَوَاكِبِ، وَبَنَى مَذَابِحَ وَثْنِيَّةٍ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، وَمَارَسَ الذَّبَائِحَ الْبَشَرِيَّةَ، وَمَارَسَ السَّحْرَ بِأَشْكَالِهِ، وَكَانَ يَعْمَلُ الشَّرَّ لِإِغَاظَةِ الرَّبِّ، وَوَضَعَ تَمَثَالَ السَّارِيَّةِ (جَذَعِ شَجَرَةٍ كَبِيرٍ) فِي بَيْتِ الرَّبِّ، حَيْثُ كَانَ الرَّبُّ قَدْ وَضَعَ اسْمَهُ فِيهِ، وَقَطَعَ عَهْدًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُبْقِيَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ إِذَا بَقِيَوا أَوْفِيَاءَ لِلْعَهْدِ، لَكِنْ مَنْسَى أَضْلَهْمُ لِيَزِيدَ شَرَّهُمْ عَلَى شَرِّ الْأُمَمِ الْوَثْنِيَّةِ (ع. ٢-٩). وَأَرْسَلَ الرَّبُّ

تث ٢٨-٣١)، ولفكرة الثواب لمن يحفظ العهد والعقاب لمن يخونه (البركات واللغات)، وأخيراً، لملائمة الإصلاحات التي سيقوم بها يوشيا مع متطلبات التقليد الاشتراعي.

## الحداثة والديمقراطية

يشكل الإسلام أهم الديانات تأثيراً في الشرق الأوسط. ولذا فإن أي حوار يدور حول مقارنة الشريعة الإسلامية بالقانون الإنساني والوضعي يصبح حواراً مستنزفاً وغير حاسم بل ويبدو لا نهاية له. وبالطبع لا توجد دراسة تتناول الشرق الأوسط يمكنها أن تتجنبه.

وعند دراستنا للعلاقة بين الفكر الإسلامي ومصطلح «الحداثة» (Modernity)، ونسأل هل كان المصلحون الإسلاميون حداثيين؟ لقد كان التحديث مشروعاً سياسياً صاحب تأسيس الدولة القومية في النصف الأول من القرن العشرين. ومنذ بدأ طرح موضوع التحديث لم ينقطع الجدل بين التحديث والفكر الإسلامي. وربما سيكون من المفيد أولاً التعرف على الاختلافات بين: «التحديث أو التحول الحداثي» (Modernization) و«الحداثة» (Modernity).

ويلاحظ هوبوود (Hopwood) أن ثمة فرقاً بين الاثنين: التحديث هو التعرف على مصطنعات الحياة المعاصرة كالسكك الحديدية ووسائل الاتصال والصناعة والتكنولوجيا المتقدمة. أما الحداثة (Modernity or Modernism) فهو مصطلح عام يتعلق بالعمليات السياسية والثقافية التي تظهر نتيجة جلب أفكار جديدة أو نظام اقتصادي أو تعليمي إلى المجتمع. فإنها أسلوب تفكير وأيضاً أسلوب للمعيشة في العالم المعاصر وقبول التغيير (Hopwood, 1998, 2).

لقد بدأ التحديث في أوروبا من خلال العملية الاقتصادية التي بواسطتها تبنى الأوروبيون أساليب جديدة للإنتاج والتجارة والتخلي عن الأنماط التقليدية للعلاقات الاقتصادية. وتبعاً لذلك أصبح الناس قادرين على اتخاذ قراراتهم وخياراتهم الاقتصادية بمفردهم. وهذه الاختيارات جعلت الناس يتخلون عن الأساليب العتيقة للحياة، وتزداد تحولاتهم واهتمامهم بالتغيير (المرجع السابق، ٢). ولهذا يمكننا أن نعتبر أن التحديث هو العملية التي في العادة تؤدي إلى الحداثة، وتبدأ هذه العملية عندما يتخذ المجتمع اتجاهاً للتعرف على الكيفية التي يتخذ بها الأفراد خياراتهم، سواء أكانت أخلاقية أم شخصية أم اقتصادية أم سياسية (المرجع السابق، ٢). ومن هنا فإن مصطلحي: «التحديث» و«الحداثة» يُستخدمان في هذا المقال للإشارة إلى المفهوم الغربي للتحديث الذي يؤدي إلى الحداثة، فالتحديث والحداثة هما وجهان لعملة واحدة.

وعلى الرغم من أن مشروع التحديث الغربي قد نشأ في الفترة من القرن السادس عشر وحتى الثامن عشر، وهي المرحلة التي شهدت

اسم أمه يديدة بنت عدّاية من بَصْفَة (مكان غير معروف) (ع. ١). عمل المستقيم في عيني الرب ولم يسلك في طريق أبيه (ع. ٢).

٢٢: ٣-٧ يوشيا يعتني بترميم بيت الرب في سنة ملكه الثامنة عشرة، أي ٦٣٧ ق. م. وعندما بلغت سنة السادسة والعشرين، شرع يوشيا بترميم الهيكل، فأرسل كاتبه شافان إلى رئيس الكهنة حلقيا ليحسبوا التقدّمات في الهيكل ويدفعوا منها مصاريف الترميم. ومهم جداً ألا يدخلوا مع العمال والوكلاء في محاسبات نظراً لأن الثقة متوفرة. يبدو أن يوشيا اتّعظ بما حدث للسامرة، ووعى لتأثير الدين والمعابد في الحياة السياسية والأخلاقية ووحدة الشعب، وأعدّ خطة يتم بموجبها توحيد العبادة في الهيكل المركزي في أورشليم، كما سنرى.

٢٢: ٨-٢٠ حلقيا الكاهن العظيم يجد كتاب الشريعة في الهيكل ويقرأه للملك، والملك يتبكت ويتخذ إجراءات ذهب شافان كاتب يوشيا، إلى الهيكل، ليتّم المهمة، التي أوكله بها الملك، فحسب التقدّمات، وحاسب وكلاء الشغل. وفي الوقت نفسه، أخبره رئيس الكهنة أنه وجد في الهيكل سفرًا (كتاباً)، هو سفر الشريعة، وسلمه لشافان، فقرأه هذا الأخير. وحمله معه إلى الملك وقرأه عليه (ع. ٨-١٠). ولما سمع الملك كلام الشريعة، ورأى كم هو وشعبه بعيدين عنها، مزق ثيابه (ع. ١١) حزناً على الحالة المزرية التي وصلوا إليها، وخوفاً من «لغات الشريعة» على كل من لا يتم متطلباتها (انظر تث ٢٩ وخاصة ع. ٢٧). ثم ألف يوشيا مجموعة من الحكماء والمسؤولين لفحص الأمور في حضرة الرب، ولمقارنة متطلبات الشريعة مع الحالة التي يعيشها الشعب لتحاشي وقوع لعنات الرب عليهم. وذهبت المجموعة إلى النبوة خلدة، زوجة أحد المسؤولين في الهيكل، وكانت ساكنة في «الحي الثاني»، وسألها رأي الرب في الموضوع. «الحي الثاني» هو حيث استحدث بعد سقوط السامرة، عندما هرب عدد كبير من سكان إسرائيل إلى يهوذا، وسكنوا خارج سور أورشليم، فبني لهم سور آخر لحمايتهم. ونقلت خلدة النبوة كلام الرب إلى المجموعة: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَآنَذَا جَالِبٌ شَرٌّ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سَكَانِهِ، كُلُّ كَلَامِ السَّفَرِ الَّذِي قَرَأَهُ مَلَكُ يَهُوذَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَأَوْقَدُوا لِأَلَهَةٍ أُخْرَى لِكَيْ يُغَيِّظُونِي بِكُلِّ عَمَلٍ أَيْدِيهِمْ، فَيَشْتَعِلَ غَضَبِي عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا يَنْطَفِئُ». (ع. ١٢-١٧). إذا، سفر الشريعة الذي وجدوه يقضي بإنزال الدينونة على يهوذا لأن الشعب وَجَدَ خَائِناً لعهد الرب. وحملت النبوة خلدة المجموعة رسالة من الرب إلى الملك يوشيا، وتقول الرسالة إنَّ الرب يعفو عن البلاد في أيام يوشيا، فلا يكون إلا السلام، لأن هذا الأخير تواضع أمام الرب عندما اكتشف أنهم تحت لعنة الشريعة بسبب خيانتهم عهد الرب (ع. ١٨-٢٠). يقترح عدد كبير من العلماء بأن سفر الشريعة هذا هو التقليد الاشتراعي الموجود اليوم في سفر التثنية، نظراً لأن سفر التثنية يستخدم التسمية «سفر الشريعة» (انظر

أنه يضع نفسه في نفس مكانة الله، وهذا يؤدي إلى إضعاف أمان الفرد بجعله أسيراً لهوى و«رغبات الحكام» (Yassin, 51).

هناك توجه آخر يسعى لتحقيق المواءمة بين الإسلام والديمقراطية. فمن جهة أولى يرى هذا التوجه أن الديمقراطية مصطلح أجنبي. لكنه يحاول إيجاد تصور محلي مناسب لوصف حق المشاركة السياسية والحرية. ومن جهة أخرى، لم تعد الاتجاهات الدينية معروفة بطوقسها الصارمة وأفكارها العتيقة، «ولكنها الآن تُعرف بأنها شعور عميق بالإخلاص للمبادئ الأخلاقية والولاء للقيم الإلهية» (Ansari, 28). وفي هذا السياق يصبح إعادة تفسير الديمقراطية والدمقرطة أمراً ضرورياً للمجتمعات الإسلامية، ولذا يمكن أن تتوافق الديمقراطية مع الإسلام.

دعنا نتفحص فكرة توافق الديمقراطية مع الإسلام. ويلاحظ إسبوزيتو (Esposito) وفوو (Vou) وجود اعتقاد في العالم الإسلامي بأن عملية الإحياء الديني العالمي والدمقرطة متكاملان. ولكن التعارض بين الديمقراطية والإسلام يتجلى فقط عندما ينظر إلى الديمقراطية بدلالة أو مغزى غربي. العمليتان متعارضتان ومتنافستان فقط إذا تم تعريف الديمقراطية بطريقة صارمة للغاية تعتبر أنه يمكن تحقيقها فقط عن طريق تبني أساليب غربية أوربية أو أمريكية محددة، أو إذا تم تعريف مبادئ الإسلام المهمة بأسلوب تقليدي قاس. وعندها يتحول الجدل بشأن الديمقراطية من مناقشة الوسائل الأكثر فاعلية لزيادة الممارسة الشعبية، إلى مناقشة مدى شرعية الأطروحات السياسية الأجنبية الوافدة من الخارج (Esposito and Vou, 21).

وتقوم فكرة الخلافة الإسلامية على أساس جماعة المؤمنين وليس الحاكم الفرد. فالخليفة هو: الوكيل أو النائب. وهكذا يصبح الوضع الحقيقي للإنسان تبعاً للفكر الإسلامي هو أنه مندوب عن الله هنا على الأرض، وهو وكيله. وهذا يعني أن سلطان الخليفة هو ممنوح لكل الجماعة للمشاركة واقتسام المسؤوليات العامة. ومن ثم فإن الديمقراطية داخل الإسلام تظهر عندما يتمتع كل شخص في المجتمع الإسلامي بحق و سلطان الخليفة، مما يؤكد مفهوم التوحيد والخضوع لله، حيث إن جميع البشر متساوون.

إن الديمقراطية الإسلامية تتحقق بطرق متعددة مثل: الشورى والإجماع والاجتهاد. ولا تقوم الشورى في الإسلام على أساس وجود حاكم فرد يطلب النصيحة من الآخرين؛ بل بالأحرى هي مناقشة جماعية على أساس المساواة. وهنا تصبح الشورى مظهرًا أساسيًا من مظاهر العلاقة بين الإسلام والديمقراطية. ويتجلى المظهر العملي الثاني في أحكام الإجماع، والذي يقوم في الإسلام على الحكم التشاركي للجماعة. وتاريخياً، كانت أحكام الإجماع مقتصرة على علماء الإسلام، بينما الإجماع العام كان أقل تأثيراً في

عصري النهضة والتنوير، إلا أنها أصبحت نموذجاً دولياً في القرنين التاسع عشر والعشرين، ويمكن أن نرى أن السمات الأساسية للتحديث بالمفهوم الغربي تتلخص في أنه عملية تغيير في البناء والنظام الاجتماعي بواسطة العلوم والتكنولوجيا، كما أنه حركة تحول من مجتمع تقليدي يسود فيه الدين والسحر والتفكير الخرافي إلى مجتمع حديث وما بعد الحداثي، يتسم بالتححرر من القوالب الدينية الجامدة والتقاليد العتيقة. وهو أيضاً عملية تغيير في منظومة العلاقات بين الفرد والمجتمع. (Ali, 14-15)

وتاريخياً يمكن القول إن التحديث هو وصف الاتجاه الجديد للتفكير الذي حدث في الغرب كنتيجة أو على الأقل مصاحباً للثورة العلمية والصناعية. وهي تتسم بيقينها الشديد في قوة العلم والعقل، وأيضاً بشكها الجوهرية في الحقيقة المطلقة المادية. (Yassin, 47)

## الحداثة في الفكر الإسلامي

والجدير بالذكر أن هذا التفريق بين التحديث والحداثة يمكن أيضاً الانتباه إليه في أصوات المصلحين الإسلاميين الذين يدعون لمبدأ المصالحة، ويهدفون من ورائه إلى الاستفادة من تميز التحديث عن الحداثة، فيما يتعلق بالثقافة والقيم. ومن الواضح أيضاً أن بعض الجماعات الإسلامية الحالية تقبل التحديث كتطور تكنولوجي مطلوب وضروري للعالم الإسلامي. ولكنهم يرفضون الحداثة، التي يرونها انعكاساً لقيم ومبادئ الثقافة الغربية.

وهناك اتجاهان أساسيان في الشرق الأوسط للاستجابة لقضية التحديث. الاتجاه الأول يرفض فكرة توافق الإسلام مع الحداثة ويؤكد على الاعتقاد بكفاية الإسلام كأساس لمشروع سياسي شامل. أما الاتجاه الثاني، فيرى أن الإسلام والحداثة متوافقان، مع اشتراط إعادة تعريف المبادئ الأساسية لكل منهما. ويفحص سايب (Sayyid) نوع العلاقة التي تتواجد بين الإسلام والحداثة، على أساس أن الإسلام ليس مغايراً للحداثة. كما يطرح تساؤلاً بشأن ما إذا كان هناك نوع واحد من الحداثة، أم أنواع مختلفة من الحداثة، وإذا كانت ثمة حداثة إسلامية، فما هي معالمها؟ ويعتقد سايب أن مشكلة التيار الإسلامي الذي يدعو لتحديث إسلامي أنهم يفهمون التحديث باعتباره مطابقاً للتغريب (Sayyid, 103).

## الديمقراطية في الفكر الإسلامي

تعتبر الديمقراطية من أهم الإشكاليات التي تطرحها قضية الحداثة. فإن الديمقراطية تمنح السيادة للشعب بدلاً من الله. ويتنظر إلى الديمقراطية باعتبارها نتاجاً للحداثة التي تقوم على سيادة الشعب. ولذلك يكتب عبد القادر ياسين: لقد أنزل الله الشرائع مرة واحدة لتدوم للأبد. والسماح للإنسان بوضع قانون، فإن هذا يعني

كثيراً من الأصوات تحذر من إمكانية انهيار هذا التوافق، خاصة إذا تعرض للمبالغة في التأكيد عليه أو للإساءة في طرح أبعاده (كما حدث في طرح التوافق بين الإسلام والأيدولوجيات الأخرى مثل القومية). ويرى أنصاري (Ansari) أن الديمقراطية لا ينبغي أن تعامل بنفس الأسلوب كباقي الأيدولوجيات الحديثة مثل القومية أو الاشتراكية:

«الحقيقة أن كلاً من القومية والاشتراكية كانتا مجهزتين بجو شبه ديني: فلقد لاحا في الأفق كروى عالمية مطلقة وعقائد كاملة، بل اعتبرت ترياقاً سحرياً لكل الأمراض والمشكلات في المجتمع. هذا النوع من التوجهات يُعمق سوء التفاهم المبدئي عند المسلمين نحو كل من العلمانية والديمقراطية. والنتيجة هي تصلب وترسيخ الرؤية التي ترى الإسلام والديمقراطية يمثلان اتجاهين منفصلين ومتعارضين تماماً» (المرجع السابق، ٩٤).

إن الشرق الأوسط هو أبرز منطقة يمكننا فيها رؤية تأثير الدين على السياسة. ومن هنا ينبع تفردا الذي يتأتى من توحيد قوى الثقافة العربية والإسلامية (التي تتأصل جذورها بعمق في الإسلام) وفي هذا السياق من الدين السياسي، تصبح الديمقراطية مشروعاً سياسياً يشجعه القادة العرب نتيجة للسلط السائد بين الشعوب العربية، وكمطلب سياسي كشفت عنه حرب الخليج الثانية وتأكد في الربيع العربي. ومع ذلك فليس ثمة وجود لعملية ديمقراطية كاملة، وتحقق شبه الديمقراطية أو أنصاف الديمقراطية عندما تتمك القيادات السياسية رغبة في السماح ببعض الحريات بدلاً من تحقيق الديمقراطية. ثم ظهرت الديمقراطية الإسلامية كبديل سياسي لتؤكد على التوافق بين الإسلام والديمقراطية، ولتبرز الاختلاف بين الحداثة (modernity) كمشروع سياسي غربي يحمل نظاماً قيمياً غربياً وبين التحديث (Modernization) الذي هو ببساطة الاستفادة من التطور التكنولوجي الذي لدى الغرب. لذلك فإن بعض المفكرين المسلمين يرون الديمقراطية باعتبارها تقوم على مبادئ أكدها الإسلام، وإن الإسلام قدم إسهاماً عظيماً في التطوير السياسي للمنطقة. ولذا فهم يرحبون بالإبداعات التكنولوجية الغربية، أما المنظومة الأخلاقية فهي غير مقبولة على الإطلاق.

وبالرغم من صعوبة التمييز بين: الحداثة والتحديث، إلا أن ذلك يُعد أمراً ضرورياً بالنسبة لوضع التمييز بينهما. فهذا التمييز يُتيح للمنطقة الاستفادة من تقدم الغرب دون التقيد بالثقافة الغربية. كما أن هذا التمييز يفتح المجال للتعاون مع الثقافات الأخرى وللتغلب على مشاعر الرفض تجاه الغرب.

## المراجع

Ansari, Abduh Fili. "Muslims and Democracy." in

حياة المجتمع الإسلامي طبقاً للحقيقة، أنه عندما يصدر حكم جماعي في موضوع ما يؤدي إلى إنهاء الجدل في هذا الموضوع. ومن الضروري ملاحظة أن الإجماع قد لعب دوراً بارزاً في عملية تطوير الشريعة الإسلامية. أما المظهر الثالث فيتمثل في الاجتهاد والذي يتيح لجماعة المسلمين أن يطبقوا مشيئة الله في أي مكان وزمان. وهذه المظاهر العملية لعبت دوراً محورياً في تشكيل المنظور الإسلامي لما يمثل ديمقراطية شرعية وأصلية في إطار إسلامي (المرجع السابق، ٢١-٣٠).

وتوصل إسبوزيتو وفوو إلى أن الجهود التي بذلها العلماء المسلمون لتطوير تصور لهذه المظاهر العملية مثل الشورى والإجماع كانت في غاية الأهمية وتضاهي العملية الغربية لتطوير أشكال فعالة للديمقراطية التشاركية. وفي عالم مملوء بالمعارك المتصاعدة بين الحضارات، مثل هذا المنظور الإسلامي قد يساعد في تطوير عملية الديمقراطية العالمية. ومن ثم يجب تجنب فكرة وجود شكل واحد لعملية الديمقراطية ينتج عنه بناء حضاري معين. وبدلاً من هذه النظرة الضيقة ينبغي أن يتاح لكل الخبرات المختلفة لعملية التحول الديمقراطية أن توجد وتتعاون وتؤثر في بعضها البعض (المرجع السابق، ٣٢).

ويعتقد صديق ج. سليمان أن الشورى والديمقراطية متشابهتان في المفهوم والمبدأ. فعلى الرغم من أن الشورى قد تختلف عن الديمقراطية فيما يتعلق بتفاصيل التطبيق تبعاً للعادات المحلية. ولكنهما تتفقان على ضرورة وجود انتخابات حرة، وقابلية للمحاسبة، وشرعية للنظام الحاكم، وسلطة للشعب، وذلك عبر العملية الدستورية للتصدي للحاكم عند انتهاكه ثقة الشعب (Sulayman, 98). وتستند الدعوة للتوفيق بين الإسلام والديمقراطية إلى أفكار محددة: سيادة الله، ووكالة البشر النيابية، وحكم الجماعة بواسطة طرح مفهوم الخلافة العامة؛ والمساواة عبر مفهوم التوحيد والخضوع لله؛ والاتجاه الجماعي عبر الشورى والإجماع والاجتهاد. ولا تختلف هذه المفاهيم عن جوهر الديمقراطية حيث الجماعية والتعددية والمساواة هي أساس النظام السياسي.

ولدعم أن الديمقراطية لا تتعارض مع الشورى، يتساءل الغنوشي (Ghannushi)، هل يمكن للمسلمين أن يشاركوا في حكومات غير مسلمة طبق الديمقراطية؟ لقد رأى الغنوشي أن التحالف بين المسلمين والجماعات الديمقراطية العلمانية سوف يؤدي إلى تأسيس حكومة ديمقراطية علمانية تحترم حقوق الإنسان، وتضمن الأمان وحرية التعبير وحرية العقيدة. وهي المتطلبات الأساسية للإنسان التي جاء الإسلام ليلبيها (Ghannushi, 91).

وهذا الاتجاه يرى ثمة علاقة واضحة بين الإسلام والديمقراطية على المستوى الأيدولوجي، وكذلك المستوى العملي. وغير أن

ليخدموا ككهنة درجة ثانية (لا ٢١: ٢١-٢٣)، وهدم كل معابد المناطق، وخاصة تلك التي كانت عند أسوار أورشليم وبابها الرئيس (ع. ٨). لكن لم يسمح لهؤلاء الكهنة أن يقدموا ذبائح في بيت الرب (حز ٤٤: ١-١٤) نظراً لماضيهم الحقيق، بل سمح لهم فقط مشاركة أخوتهم الكهنة في أكل خبز التقدمة (ع. ٩. انظر لا ١٦: ١٦-١٨). هدم معابد توفة الواقعة جنوب أورشليم، حيث كانت تُقدّم الذبائح البشرية للإله مولك (ع. ١٠، انظر ١٦: ٣؛ إش ٣٠: ٣٣؛ إر ٧: ٣١؛ ١٩: ٦-١٣)؛ وسيصبح هذا المكان «جهنم» (وادي هنوم) في التقليد المسيحي (انظر مت ٥: ٣٠). أباد الخيل المكرسة لعبادة الشمس مع مركباتها التي كانت قريبة من الهيكل (ع. ١١). وهدم المذابح الوثنية التي بناها الملك آحاز في بيته، والملك منسى في الهيكل، وذّر غبارها في وادي قدرون (ع. ١٢) حيث مقابر الملوك الذين وضعوها. وهدم معابد المرتفعات التي بناها سليمان على الجبال المقابلة لأورشليم-منها «جبل الهلاك» الذي هو جبل الزيتون، وقد سُمّي هكذا بسبب المزج بين «شحد» (فسد) و«مشح» (مسح) - لآلهة النساء اللواتي تزوجهن، وحطم تماثيلها وأحرقها وعظام الناس الذين كانوا يعبدونها (ع. ١٣-١٤). وهدم مذبح العجل الذهبي الذي بناه يربعام بن نباط في بيت إيل لمنع بني إسرائيل من الذهاب إلى الهيكل (انظر ١ مل ١٢: ٢٨-٣٣)، وهدم نصب المعبد أيضاً (ع. ١٥). وأخذ عظام الناس الذين عبدوا العجل في هذا المعبد وأحرقها على مذبحه إتماماً لقول رجل الله (ع. ١٦، انظر ١ مل ١٣: ٢). وترك يوشيا قبر النبي الذي تنبأ عن مصير معبد بيت إيل وإصلاح يوشيا وقبر النبي الذي أتى آنذاك من السامرة (ع. ١٧-١٨. انظر ١ مل ١٣: ٣١). وامتد إصلاح يوشيا إلى إسرائيل فأزال المعابد الوثنية على الجبال حول السامرة، وأباد كهنتها، وكان مصيرها كمصير معبد بيت إيل. وبعد أن أنهى العمل في جميع أرجاء يهوذا وإسرائيل، عاد إلى أورشليم (ع. ١٩-٢٠). وكانت قمة إصلاح يوشيا هو أمره بإقامة احتفال بالفصح بحسب متطلبات سفر الشريعة (ع. ٢١). وعلق الكاتب الملهم على هذه الخطوة: «إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مِثْلَ هَذَا الْفَصْحِ مِنْذُ أَيَّامِ الْقَضَاءِ... وَلَا فِي كُلِّ أَيَّامِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ يَهُوذَا». (ع. ٢٢). وقد تم الاحتفال بالفصل في السنة الثامنة عشرة لملك يوشيا، وفي أورشليم (ع. ٢٣)، كما تنص عليه الشريعة. في ع. ٢٤، تقرير مقتضب عن إصلاح يوشيا، يبدو أنه صادر عن تقليد آخر. ويقرر الكاتب الملهم بأنه لم يقم ملك، لا قبله ولا بعده، رجع إلى الرب بهذا الزخم (ع. ٢٥) وقام بهذا الإصلاح الراديكالي. ويقول الكاتب، بأنه، على الرغم من هذا الإصلاح العظيم، لم يرفع الرب العقاب عن يهوذا بسبب فداحة خطايا منسى، فبقي أمر الرب قائماً بزوال أورشليم كما زالت السامرة، وبزوال المدينة التي أسكن اسمه فيها، وبزوال الهيكل (ع. ٢٦-٢٧). طبعاً هذا كلام مكتوب على خلفية السبي الذي حدث فعلاً

*Journal of Democracy*, 10: 3, (1999): p. p. 18-32.

Esposito, John L. and John O. Vou. *Islam and Democracy*. Oxford: Oxford University Press, 1996.

Ghannushi, Rachid. "Participation in Non-Islamic Government." (89-95) in *Liberal Islam*. Charles Kurzman (ed.). Oxford: Oxford University Press, 1998.

Hopwood, Derek. "The Culture of Modernity in Islam and the Middle East." (1-9) in *Islam and Modernity: Muslim Intellectuals Respond*, John Casper (ed. et al), London and New York: I.B. Touris, 1998.

Sulayman, Sadik J. "Democracy and al-Shura." (96-101) in *Liberal Islam*, Charles Kurzman (ed.). Oxford: Oxford University Press, 1998.

Yassin, Abd Al-Qadir. "Understanding Modernity on One's Own Terms." in *the American Journal of Islamic Social Sciences*, 15, 2 (1994): p. p. 57-60.

### الدكتور القس أندريه زكي إسطفانوس

#### ٢٣: ١-٢٧ يوشيا يجدد العهد مع الرب ويقوم بإصلاحات

دينية لم يتوقف يوشيا عند التوبة النظرية، بل شرع في ورشة إصلاح شامل. جمع الملك يوشيا مسؤولي الدولة والكهنة والأنبياء والشعب معاً في بيت الرب، وقرأ على مسامعهم «سفر الشريعة» (ع. ١-٢). ثم وقف الملك على المنبر، كمثل للشعب، وجدد العهد مع الرب، فوعده بأن يعملوا بحسب كل ما جاء في سفر الشريعة (ع. ٣). ثم أمر بإخراج كل تماثيل البعل والسارية وأنيته الموجودة في الهيكل وإحراقها في وادي قدرون (وادي الجوز الفاصل بين جبل الهيكل وجبل الزيتون) - وكان هذا الوادي رمزاً للنجاسة إذ كانت مقابر الملوك الذين وضعوا هذه النجاسات في الهيكل - ثم ذر رمادها في بيت إيل - وبيت إيل معروفة بوثنيتها إذ أقام فيها يربعام معبداً كبيراً ووضع فيه عجلاً ذهبياً (ع. ٤). فكل ما يعود للأوثان مكانه مذابح الأوثان لا هيكل الرب. عزل كهنة معابد المرتفعات في يهوذا وحول أورشليم، هؤلاء الذين كانوا يخدمون البعل والسارية والكواكب (ع. ٥). أخرج السارية (جذع شجرة كبير) من الهيكل ودقها وطحنها في وادي قدرون، مركز النجاسة، وذّر طحينها فوق قبور «عامة الشعب» (بني الشعب) الذين كانوا قد عبدوها (ع. ٦) كحركة رمزية تدل على مصيرها ومصير من عبدها. وهدم بيوت المأبوتين (الذكور الذين يمارسون الجنس المقدس في المعابد الوثنية) التي كانت حول الهيكل وحيث كانت النسوة ينسجن ثياباً للسارية (ع. ٧). واستقدم كل الكهنة اللاويين الذين كانوا يخدمون في مدن يهوذا ووضعهم في الهيكل

عليه «الرب» الكلدانيين والموآبيين والعمونيين ليبيدوا يهوذا ليبيدوها حسب كلام الرب بقم أنبيائه (إر ٢٠: ١٧؛ ٢١: ١٢ - ١٤؛ ٢٣: ٢٧؛ ٢٥: ٩؛ ٣٢: ٢٨؛ حز ١٩: ٨)، بسبب خطايا ملوك يهوذا، وخاصة منسى، وبسبب الدم البريء الذي سفكه هذا الملك الظالم (٢١: ١٦)، ولم يشأ الرب أن يعفو عن يهوذا (٢٤: ١ - ٤). كلام مكتوب على خلفية سبي بابل الذي سيحدث ٥٨٧ ق. م. كما سئرى. بقية أمور يهوياقيم مكتوبة في سفر الأخبار لملوك يهوذا الذي نجهله. توفي يهوياقيم وملك ابنه يهوياكين مكانه (ع. ٥ - ٦). ولم يعد ملك مصر يخرج للحرب لأن ملك بابل سيطر على المنطقة من نهر مصر (وادي العريش، انظر ٢٥: ٧) إلى نهر الفرات (ع. ٧). كل الشرق أصبح تحت سيطرة الكلدانيين. ٦٠٥ ق. م.، كسر الكلدانيون الآشوريين في معركة كركميش (جرابلس اليوم) واستولى على كل أملاك الإمبراطورية الآشورية، وعلى الأثر، أصبح الكلدانيون يشكلون القوة العظمى في المنطقة.

**٢٤: ٨ - ١٧ ملك يهوياكين في يهوذا هو الملك التاسع عشر في مملكة يهوذا (يهوياكين بن إياقيم/يهوياقيم (بن يوشيا) - يهوآحاز بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن آحاز بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام).** كان عمره ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر فقط خلال ٦٠٣ ق. م. اسم أمه نحوشتا بنت الناثان من أورشليم (ع. ٨). عمل الشر في عيني الرب حسب طرق آبائه (ع. ٩). في أيامه حاصر الكلدانيون مدينة أورشليم، وأسروا الملك وأمه وحاشيته واقتادوه إلى بابل. وأخذ الكلدانيون كل الفضة والذهب والآنية الثمينة الموجودة في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وكسروا الآنية التي لم يستطيعوا أن يحملوها من الهيكل وكانت منذ عهد سليمان الملك، وسبوا عشرة آلاف رجل من أورشليم ويهوذا وكلهم من خيرة الشعب: الحكماء والكهنة والموظفون في البلاط والحرفيون، ولم يبقوا إلا مساكين الأرض (الفقراء والبسطاء)، وسبوا الملك يهوياكين وعائلته وحاشيته، وسبوا سبعة آلاف من الحرفيين والمساعدين وقادة الجيش، سبهم كلهم إلى بابل (ع. ١٠ - ١٦). وملك ملك بابل متنيا عم يهوياكين وغير اسمه إلى صدقيا (ع. ١٧). يقول الكاتب «كما تكلم الرب» (ع. ١٣) ليضع الحدث في خانة تحقيق النبوة (انظر إر ٢٠: ٥). هذه هي الدفعة الأولى من سبي بابل، وعلى الأرجح ذهب فيها حزقيال ودانيال. بحسب التواريخ المحققة والمبنية على الكتابات والحفريات المكتشفة، حدث هذا في السنة الثامنة لملك نبوخذ نصر أي ٥٩٧ ق. م. (٦٠٥ - ٥٩٧) وهذا مقبول لدى عامة الدارسين. نلاحظ أن الفرق بين التاريخ الذي وصلنا إليه (٦٠٣ ق. م.).

**٢٤: ١٨ - ٢٥: ٧ ملك صدقيا في يهوذا هو الملك العشرون في**

٥٨٧ ق. م. كما سئرى فيما بعد. إن هذه الأمور التي قام بها يوشيا جميعها مكتوبة في سفر التثنية. من هنا اعتقد عدد كبير من الدارسين أن السفر الذي وجده هو التقليد التثنوي الذي سيصبح فيما بعد «سفر التثنية» كما نعرفه اليوم. ويوجد من يقول إن المناسبة تعبر عن قراءة جديدة (دياكرونية) لسفر التثنية، أي كان السفر مكتوباً وجرت قراءته على خلفية الأحداث المعاصرة. ويوجد أيضاً من يقول بأن سفر التثنية كُتب في هذه المناسبة.

**٢٣: ٢٨ - ٣٠ نهاية ملك يوشيا وموته** بقية أمور يوشيا مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا الذي نجهل عنه كل شيء (ع. ٢٨). وفي أيام يوشيا، صعد فرعون مصر، نخو، على ملك آشور قرب نهر الفرات، وكانت معركة كركميش (جرابلس) (٢ أخ ٣٥: ٢٠). فأمر الآشوريون يوشيا أن يقطع الطريق عليه، فذهب إلى مجدو (وادي يزرعيل) حيث لاقى حتفه، وحملوه إلى أورشليم حيث دُفن، وملك يهوآحاز ابنه عوضاً عنه.

**٢٣: ٣١ - ٣٤ ملك يهوآحاز في يهوذا هو الملك السابع عشر في مملكة يهوذا (يهوآحاز بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن آحاز بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام).** كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وملك ثلاثة أشهر من ٦١٤ ق. م. اسم أمه حموطل بنت إرميا من لبنة (مكان غير معروف) (ع. ١). عمل الشر في عيني الرب ولم يسلك في طريق أبيه (ع. ٣١ - ٣٢). أسره نخو، ملك مصر، عندما كان في طريقه لمحاربة الآشوريين في كركميش، وأخذه إلى ربله (بين لبنان وسوريا اليوم)، وكانت تابعة لمملكة حماة الآرامية، ووضع يهوذا تحت جزية ثقيلة (ع. ٣٣). وملك ملك مصر إياقيم أخو يهوآحاز (ابن يوشيا) مكانه وبدل اسمه إلى يهوياقيم، وأخذ يهوآحاز إلى مصر حيث توفي (ع. ٣٤). يبدو أن يهوآحاز حاول التخلص من دفع الجزية لملك مصر.

**٢٣: ٣٤ - ٢٤: ٧ ملك إياقيم/يهوياقيم في يهوذا هو الملك الثامن عشر في مملكة يهوذا (إياقيم/يهوياقيم (بن يوشيا) - يهوآحاز بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن آحاز بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام).** كان عمره خمساً وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة، أي من ٦١٤ حتى ٦٠٣ ق. م. اسم أمه زبيدة بنت فداية من رومة (مكان غير معروف) (ع. ١). عمل الشر في عيني الرب حسب طرق آبائه (ع. ٦ - ٣٧). كان يهوياقيم أميناً يدفع الجزية لملك مصر، غير أنه زاد الضرائب لكي يجمع هذه الجزية (ع. ٣٥)، ونعتقد أن هذا ما دفع ملك مصر لتمليكه مكان أخيه. في أيامه صعد نبوخذ نصر ملك بابل ووضع يهوذا تحت الجزية لمدة ثلاث سنين، وفي نهايتها تمرد يهوياقيم عليه، فأرسل

سور المدينة، سبوا خيرة الشعب المتبقي إلى بابل، لكنهم أبقوا على المساكين والبسطاء، وأخذوا كل النحاس الذي كان موجوداً في بناء الهيكل وأنية الذبائح النحاسية التي كانوا يخدمون بها، وكل ما كان من نحاس أو ذهب أو فضة أخذوه وحملوه إلى بابل، وكانت كمية النحاس كبيرة جداً (ع. ٨-١٧). وألقوا القبض على ما تبقى من كهنة وجيش وموظفين كانوا يقاومون حتى اللحظة الأخيرة، وأرسلوهم إلى ربة حيث قُتلوا بأمر من ملك بابل نفسه. ويقولها الكاتب بجملة قصيرة: «فسُبي يهوذا من أرضه» (ع. ١٨-٢١). هذا هو العقاب الإلهي الذي نصت عليه الشريعة لخيانة العهد (انظر لا ٢٦: ٣٢؛ تث ٢٨: ٣٦، ٦٤؛ ٢ مل ٢٣: ٢٧). إن الابتعاد عن الله والشروع التي يفعلها الإنسان تأخذ به إلى شرور أكبر وعواقب وخيمة.

**٢٥: ٢٢-٢٦: الحالة في يهوذا بعد السبي بعد أن هدم المدينة، والهيكل، وأخذ كل الذهب والفضة والنحاس والآنية إلى بابل، وسبوا خيرة السكان، أقام ملك بابل جدليا بن أخيقام بن شافاز حاكماً عنه في أرض يهوذا، وفيها الفقراء والمساكين والفلاحون والكرامون فقط (ع. ٢٢). وجاء بعض أشباه الأعيان المتبقين من اليهوداويين إلى جدليا ليعلنوا ولاءهم له، فطمأنهم هذا الأخير وأكد لهم سلامتهم إن هم خدموا ملك بابل وألهته وسيكون لهم خير (ع. ٢٣-٢٤). أما المدعو إسماعيل بن نثانيا بن أليشمع، وهو من النسل الملكي، جمع عشرة رجال وذهبوا إلى المصفاة حيث اغتالوا جدلي واليهوداويين الذين ناصروه والكلدانيين الذين كانوا يحرسونه (إر ٤٠: ١٣-١٥؛ ٤١: ١-٣). وخاف كثيرون من ردة فعل الكلدانيين على هذا العمل، فهربوا إلى مصر (ع. ٢٥-٢٦)، وأخذوا معهم إرميا النبي (إر ٤١: ١٦-٤٣؛ ٧). ونشأت جالية يهودية في مصر نجد آثارها في لقي جزيرة الفيلة (هي اليوم جزء من مدينة أسوان جنوبي مصر).**

**٢٥: ٢٧-٣٠ فك أسر الملك يهوياكين في السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياكين، أي ٥٦٠ ق. م. (٥٩٧-٣٧=٥٦٠)، في السنة التي تسلم فيها أويل مردوخ الملك في بابل، أفرج عز الملك يهوياكين، وأعطى درجة شرف في البلاط البابلي كبقية ملوك الولايات، وكان يأكل على مائدة الملك، وأعطى وظيفة ملكية كل أيام حياته (انظر إر ٥٢: ٣١-٣٤). هكذا انتهت مملكة يهوذا، بعد أن كانت مملكة إسرائيل قد انتهت، ولن تعود إسرائيل إلى سابق عهدها، بل ستبقى تحت سلطة الأمم.**

**الدكتور القس عيسى دياب**

مملكة يهوذا (متنيا/ صدقيا عم يهوياكين بن إياقيم/ يهوياقيم (بن يوشيا) - يهوآحاز بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن آحاز بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن يوأش - عثليا - أخزيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام). كان عمره إحدى وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة، أي من ٥٩٧ حتى ٥٨٧ ق. م. اسم أمه حميطل (حموطل) بنت إرميا من لبنة (ع. ١٨). عمل الشر في عيني الرب حسب طرق آبائه (ع. ١٩). يقول الكاتب «لأنه لأجل غضب الرب على أورشليم...» (ع. ٢٠)، والمعنى الحرفي هو أن الرب نفسه ملكه وجعله يسير في طريق غير مستقيم، كالقول الشائع «الرب قسى قلب فرعون» (انظر خر ٤: ٢١؛ ٩: ١٢؛ ١٠: ٢٠، ٢٧؛ ١١: ١٠؛ ١٤: ٨؛ تث ٢: ٣٠). يصدر هذا عن فكر لاهوتي يقول إن الله هو علة كل شيء وكل ما يحدث للبشر. لكن نحن اليوم، بعد أن تعرفنا على الله في يسوع المسيح، نعلم بأن الله لا يفعل هذا الأمر، فالشر الذي يفعله الإنسان هو يسبب له العقاب، وأحياناً يطال العقاب كل المحيطين بهذا الإنسان والتابعين له. وفي السنة التاسعة لملك صدقيا، أي ٥٨٨ ق. م. في اليوم العاشر من الشهر العاشر، أتى نبوخ نصر ملك الكلدانيين وجيشوا وضربوا حصاراً على مدينة أورشليم لمدة سنتين (٢٥: ١-٢). فاشتد الجوع في المدينة (ع. ٣). ولما استهلكت كل المؤن، واستنفدت كل القوى، وتبخرت كل الآمال بالنجاة (إر ٥٢: ٦؛ مرا ٩: ٩-١٠)، قرر الملك الهرب مع عائلته وحرسه، فتمكّنوا أن يهربوا من ثغرة فتحوها في السور، لكن جيش الكلدانيين أدركهم في بركة أريحا، فألقوا القبض على الملك وعائلته، وتخلى حرسه عنه. فأخذ الكلدانيون الملك واقتادوه إلى ربة (على الحدود اللبنانية السورية) وأصدروا الحكم عليه، فقتلوا أولاده أمام عينيهِ، ثم قلعوا عينيهِ واقتادوه إلى بابل مكبلاً بالسلاسل (ع. ٤-٧). وهكذا انتهى آخر ملك في يهوذا بهذه الطريقة الدراماتيكية. أصبحت ذكرى بدء الحصار على أورشليم، التي هي أصلاً يوم الغفران (لا ١٦: ١-٣٤؛ ٢٣: ٢٦-٣٢؛ عد ٢٩: ٧-١١)، مناسبة صوم وبكاء وتذليل للنفس بين اليهود (زك ٧: ٣؛ ٨: ١٩). نعلم من سفر إرميا أن شعب يهوذا استقوى بنجدة أتنه من مصر، لذلك تمرد على ملك بابل الذي أبطأ من تقدمه على ما يبدو، فظن الشعب أنهم أصبحوا في أمان، لكن تطورت الأمور بشكل مختلف، وحدث ما حدث (إر ٣٧: ٥-١٠).

**٢٥: ٨-٢١ سبي أورشليم بعد إنهاء الملك في يهوذا أرسل ملك بابل رئيس حرسه نبوزردان إلى أورشليم مع فرقة عسكرية، فأحرقوا بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت العظماء في أورشليم، وهدموا**